صُنع القرارات الكتابيّة

الدرس التاسع

البُعد الوجودي: النيّة في عمل الصلاح

نص الدرس

thirdmill
تعليمٌ كتابيٌّ. للعالم. مجانًا.

© 2009 خدمات الألفيّة الثالثة

حقوق الطبع محفوظة. ولا يجوز نسخ أي جزء من هذا الكتاب بأي شكل أو وسيلة أو بغاية الربح، باستثناء اقتباسات مختصرة بغرض المراجعة، أو التعليق أو البحث العلمي، دون إذن خطي من الناشر، خدمات الألفية الثالثة على العنوان البريدي:
Third Millennium Ministries, Inc., 316 Live Oaks Blvd., Casselberry, Florida 32707.

اقتباسات النصوص الكتابيّة مأخوذة من ترجمة البستانيّ – ڤاندايك، إلا إذا أُشير إلى غير ذلك.

حول خدمات الألفيّة الثالثة

تأسست خدمات الألفيّة الثالثة سنة 1997، وهي مؤسسة مسيحيّة لا تهدف للربح ومكرّسة لتقديم **تعليماً كتابيّاً. للعالم. مجاناً.** تلبيةً لحاجة العالم المتزايدة لتدريبٍ مسيحيّ للقادة يستند إلى الكتاب المقدّس، ننتج منهاجاً لاهوتيّاً سهل الاستخدام، مدعوماً بالتبرعات، وذو وسائط إعلاميّة متعددة في خمس لغات رئيسيّة وهي (الإنجليزيّة، والإسبانيّة، والروسيّة، والماندرين الصينيّة، والعربيّة). ونوزّع هذا المنهاج مجاناً لمن هم في أشد الحاجة إليه، في المقام الأول على القادة المسيحيين الذين لا يستطيعون الحصول على الدراسة التقليديّة، أو ليس بمقدورهم تحمّل نفقاتها. تُكتَب كل الدروس وتُصمَّم وتُنتج في مؤسستنا، وتتشابه في الأسلوب والنوعيّة لما تجده على قناة التاريخ (History Channel). لقد برهنت هذه الطريقة الفريدة، والفعّالة من حيث تكلفتها، لتدريب القادة المسيحيين على فاعليتها في كل العالم. وقد ربحنا جائزة تيلي للإنتاج المتميز للفيديو في مجال التعليم واستخدام الرسوم المتحركة. يُستخدَم منهاجنا اليوم في ١٥٠ دولة. وتُنتَج مواد الألفيّة الثالثة في شكل اسطوانات مدمجة (DVD) ومطبوعات، وبث على الإنترنت، وعن طريق محطات التلفزيون الفضائيّة وكذلك البث الإذاعي (الراديو) والتلفزيونيّ.

للمزيد من المعلومات عن خدمتنا وكيف يمكنك المشاركة نرجو زيارة موقعنا على الإنترنت

http://arabic.thirdmill.org

المحتويات

I. المقدمة

II. أهمية الدوافع

أ. المفهوم

١. التعقيد ٢. العمومية والتحديد ٣. معروفة ومجهولة

ب. الضرورة

١. القلب ٢. الرياء ٣. الفضيلة

III. دافع الإيمان

أ. الإيمان الخلاصي

١. وسيلة الخلاص ٢. الالتزام المستمر

ب. التوبة

ج. الرجاء

IV. دافع المحبة

أ. الإخلاص

١. الولاء ٢. التوجه ٣. المسئولية

ب. العمل

١. النعمة الفدائية ٢. النعمة العامة

ج. العاطفة

١. الامتنان ٢. الخوف

V. الخاتمة

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

صُنع القرارات الكتابيّة

الدرس التاسع

البُعد الوجودي: النيّة في عمل الصلاح

المقدمة

يعرف الوالدان أن الأولاد يكسرون أشياء في البيت أحياناً. قد يكون ذلك صحناً، أو لعبة، أو قطعة زينة. ويمكن أن تتفاوت ردود فعلنا كأهل، فقد نغضب، إذا تعمّد الولد في كسر شيء. وقد نستاء، إذا كان الولد غير مكترث أو لم يظهر الطاعة حينها. لكن إذا حدث الأمر عن غير قصد، قد لا نغضب على الإطلاق.

لكن لماذا تتفاوت ردود فعلنا؟ تتفاوت ردود فعلنا، لأننا نأخذ دوافع أولادنا في الحسبان. فقد لا تكون لدينا ردة فعل على الإطلاق، أو قد تكون ردة فعلنا متفهمة نوعاً ما، أو حتى غاضبة، ويتوقف هذا كله على تقييمنا لدوافع أولادنا. إن شيئاً مماثلاً ينطبق على الأحكام السلوكية حتى بالنسبة للبالغين. فيجب ألا تنفصل أبداً عن دوافعنا. فدوافعنا، ونوايانا، عوامل هامة لا بد أن نأخذها بعين الاعتبار في كل حكم سلوكي نتخذه.

هذا هو الدرس التاسع في سلسلتنا صنع القرارات الكتابية. وقد دعونا هذا الدرس: البعد الوجودي: النية في عمل الصلاح. سوف نبحث، في هذا الدرس، في البعد الوجودي للسلوكيات، ناظرين إلى الطرق التي تؤثر دوافعنا ونوايانا من خلالها على أخلاقية قراراتنا.

كما تذكرون، فإن تعريفنا في صنع القرارات الكتابية استند على أن الأحكام السلوكية تشمل تطبيق كلمة الله في موقف ما بواسطة شخص ما. فعندما ننظر إلى اختياراتنا في ضوء معايير كلمة الله، فإننا نستخدم البعد المعياري. وعندما ننتبه الى المواقف، فإننا نستخدم البعد الموقفي. أما عندما يتعلق الأمر بالأشخاص المشتركين في القرارات السلوكية، فإننا نستخدم البعد الوجودي. في هذا الدرس، سوف نتابع بحثنا في البعد الوجودي.

لقد بدأنا حديثنا عن البعد الوجودي في الدرس الماضي عن طريق استعراض نوع الناس أو الأشخاص الذين نحتاجهم لنصنع قراراً سلوكياً جيداً، بالتحديد، أشخاص صالحين، تمّ افتداؤهم بنعمة الله من خلال الإيمان بيسوع المسيح. سوف نركّز في هذا الدرس على جانب آخر للبعد الوجودي: دوافعنا السلوكية. كما سنرى، يجب على الأشخاص الصالحين أن يقوموا بالعمل الصحيح للسبب الصحيح من أجل إرضاء الله؛ يجب أن تكون دوافعهم بارة.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

ينقسم درسنا حول النية في عمل الصلاح إلى ثلاثة أقسام رئيسة: أولاً، سوف نبحث في أهمية الدوافع، وسنجيب على أسئلة مثل: ما هو الدافع؟ وما علاقة الدوافع بالسلوك الصالح؟ ثانياً، سوف نتحدث عن دافع الإيمان كجانب أساسي في السلوكيات الكتابية. وثالثاً، سوف نركّز على دافع المحبة الذي يشجعنا الكتاب المقدس على امتلاكه. دعونا نبدأ بأهمية الدوافع، في السلوكيات.

أهمية الدوافع

سوف نبحث في أهمية الدوافع: أولاً، عن طريق النظر في مفهوم الدافع، وثانياً، عن طريق التحدث عن ضرورة أن تكون لنا الدوافع الصحيحة. فلنبدأ بالنظر إلى مفهوم الدافع.

المفهوم

توجد طريقتان أساسيتان نتحدث فيهما عن الدوافع عادةً. فمن جهة، قد يكون الدافع الهدف الذي من أجله نقوم بالعمل– أي ما نرغب في إنجازه. ومن جهة أخرى، قد يكون الدافع السبب وراء العمل. إن أُولى الطرق التي يمكننا استخدامها هي بالقول، إن الدوافع مشابهة للأهداف بشكلٍ أساسي. وقد سبق وتطرقنا إلى الأهداف في دروس سابقة بالنسبة للبعد الموقفي. لذلك، سوف نركّز في هذا الدرس على الدوافع كأسباب للأعمال.

إن مفهوم السبب والنتيجة معروف من خبرتنا اليومية. فعلى سبيل المثال، عندما يركل شخص كرة، نقول إن الركلة هي السبب وراء حركة الكرة. وحركة الكرة هي نتيجة الركلة. ويمكننا أن نفكر بالعديد من الأمثلة المشابهة. فالمطر يؤدي إلى تبلل الأرض بالماء. إغماض عيوننا يمنعنا من الرؤية. العمل الشاق طوال اليوم يرهقنا. وينطبق الأمر ذاته على دوافعنا البشرية وأعمالنا. فالدوافع تلعب دور الأسباب، وأعمالنا هي نتائجٌ لتلك الأسباب.

بهذا المعنى، الدافع هو شعور داخلي يدفعنا للعمل. والنزعات الداخلية هي أمور مثل مزايا الشخصية، الرغبات، المشاعر، الالتزامات، وأي شيء آخر في داخلنا يدفعنا للعمل.

بعد أن بحثنا في الفكرة الرئيسية للدوافع، لابد من تقديم ثلاثة تعليقات مختصرة.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

التعقيد

أولاً، الدوافع معقّدة عادةً. في الأحوال العادية، تعمل الكثير من مزايا الشخصية، الرغبات، المشاعر والالتزامات معاً لتقودنا إلى القرارات السلوكية.

على سبيل المثال، تأمّل في أب يذهب إلى العمل لتأمين معيشة عائلته. هو يحب زوجته وأولاده؛ وهو ملتزم بتوفير احتياجاتهم؛ كما أنه يرغب بتأمين الطعام، اللباس والمأوى لنفسه. وقد تتضارب رغباته في نفس الوقت، كالرغبة في البقاء في البيت والراحة، العمل في بيته، أو أن يأخذ عطلة. وتتفاوت كل من هذه المشاعر الداخلية في درجات من التوتر والانسجام في داخله. لكن في النهاية، إن التأثير المشترك لهذه الدوافع يجعله، يذهب إلى العمل في معظم الأيام.

العمومية والتحديد

ثانياً، إن بعض الدوافع عامة جداً والبعض الآخر محدّدة جداً. وتوجد الكثير من الدوافع بين هذين الطرفين.

على سبيل المثال، إن رغبتنا المسيحية بمشاركة الإنجيل مع الضالين هي دافع عام. فإننا مدفوعين برغبتنا أن يؤمن الناس بيسوع، وأن يأتي العالم أجمع إلى الملكوت. لكن قد نشعر أحياناً بالدافع لمشاركة الإنجيل بطريقة محدّدة مع شخص محدّد التقَينا به. وفي أوقات أخرى قد تكمُن دوافعنا بين هذين الطرفَين؛ فقد نذهب للبحث عن أشخاص غير مؤمنين لنشاركهم رسالة الإنجيل.

معروفة ومجهولة

ثالثاً، بالإضافة إلى كون دوافعنا معقّدة ومتفاوتة بين العمومية والخصوصية، فقد تكون معروفة ومجهولة بالنسبة لنا. فنحن نعرف بعض دوافعنا بشكل جيد، لكن لا يمكننا أن نكون مدركين لكل دوافعنا بشكلٍ كامل.

على سبيل المثال، إذا أكل شخص وجبة طعام، يمكننا القول إن دافعه هو الجوع. فالجوع هو شعور داخلي وحالة، ويكون الشخص الجائع مدركاً لجوعه عادةً. لكن علّمنا علم النفس وتجربتنا المشتركة أن الناس يأكلون أحياناً لأنهم تعساء ويريدون أن يواسوا أنفسهم. في هذه الحالات، يكون

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

الأشخاص الذين يأكلون، غالباً غير مدركين أن الدافع الخفي وراء الأكل، هو الحاجة إلى المواساة، والتخلص من شعورهم بالتعاسة.

بعد أن بحثنا في المفهوم الأساسي وبعض تعقيدات الدوافع، أصبحنا مستعدين لدراسة ضرورة أن يكون لنا الدافع الصحيح. لماذا تعتبر الدوافع مهمة جداً في السلوكيات؟

الضرورة

للأسف، غالباً ما يقع المسيحيون في فخ الاعتقاد أن التصرف بشكل سلوكي هو مسألة طاعة خارجية لإرادة الله. ونحن نخطئ عندما نظن أن الله لا يتطلب منا أن تكون لدينا دوافع صحيحة. ويكون هذا أحياناً بسبب أنه من السهل التعرّف على السلوك وتصحيحه، أو بسبب تشديد رعاتنا ومعلمينا المستمر على السلوك، أكثر من تشديدهم على النوايا الداخلية والالتزامات. هذا بالإضافة إلى أسباب أخرى. غير أن الكتاب المقدس يوضح أنه إذا أردنا التصرف بشكل سلوكي، لا بد أن ينبع سلوكنا الذي يمجّد الله، من دوافع تمجّد الله.

سوف نبحث في ضرورة أن يكون لدينا الدافع الصحيح في ثلاث طرق. أولاً، سوف ننظر إلى مطلب الكتاب المقدس بأن الأعمال الصالحة تنبع من القلب. ثانياً، سوف ندرس إدانة الكتاب المقدس للرياء. وثالثاً، سوف نتكلم عن حقيقة كون الفضيلة المسيحية مصدر الدوافع السلوكية الصالحة. فلنبدأ بفكرة أن الأعمال الصالحة يجب أن تنبع من القلب.

القلب

يتحدث الكتاب المقدس عن القلب البشري بطرق مختلفة. لكن من أجل أهدافنا، سوف نركّز على وصفه للقلب بأنه صميم إنساننا الداخلي ومقرّ دوافعنا. أو كما استخدمناها سابقاً في هذا الدرس، سوف نركّز على القلب كمجموع نزعاتنا الداخلية. بهذا المعنى، يوجد الكثير من التداخل بين المفاهيم الكتابية لـ "القلب"، "العقل"، "الأفكار"، "الروح" و"النفس". استمع إلى سفر أخبار الأيام الأول 28: 9 حيث يربط داود بقوة بين الدوافع والقلب:

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

وَأَنْتَ يَا سُلَيْمَانُ ابْنِي اعْرِفْ إِلَهَ أَبِيكَ وَاعْبُدْهُ بِقَلْبٍ كَامِلٍ وَنَفْسٍ رَاغِبَةٍ، لأَنَّ الرَّبَّ يَفْحَصُ جَمِيعَ الْقُلُوبِ وَيَفْهَمُ كُلَّ تَصَوُّرَاتِ الأَفْكَارِ. (1 أخبار الأيام 28: 9)

علّم داود ابنه في هذه الفقرة أن طاعة الله يجب أن تنبع من صميم الإنسان الداخلي. وهذا يشمل عبادةً قلبيةً كاملة، ونفساً راغبةً. فلا يهتم الله بالطاعة الخارجية فقط. بل إنه يريد أن تكون جميع القلوب وكل تصورات الافكار مكرّسة له. هو يطلب الطاعة الحقيقية التي تنبع من أعماق أفكارنا ورغباتنا.

تعلّم العديد من الفقرات الكتابية أن الطاعة يجب أن تنبع من الدوافع الصحيحة، على سبيل المثال: تثنية 6: 5–6، 30: 2–17، يشوع 22: 5، 1 الملوك 8: 61، مزمور 119: 34، متى 12: 34 –35، رومية 6: 17 –18، وأفسس 6: 5 –6. دعونا نأخذ فقرة من العهد القديم وأخرى من العهد الجديد. استمع أولاً إلى كلمات تثنية 6: 5–6:

فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. وَلتَكُنْ هَذِهِ الكَلِمَاتُ التِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا اليَوْمَ عَلى قَلبِكَ. (تثنية 6: 5–6)

كما نرى في هذه الفقرة، طلب الله من شعبه في العهد القديم أن يحبوه من كل قلوبهم. وكان عليهم أن يكتبوا ناموس الله في قلوبهم، حتى يطيعوه من كل قلوبهم. وينطبق هذا أيضاً على العهد الجديد. استمع على سبيل المثال إلى كلمات رومية 6: 17–18:

فَشُكْراً لِلَّهِ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ عَبِيداً لِلْخَطِيَّةِ وَلَكِنَّكُمْ أَطَعْتُمْ مِنَ الْقَلْبِ صُورَةَ التَّعْلِيمِ الَّتِي تَسَلَّمْتُمُوهَا. وَإِذْ أُعْتِقْتُمْ مِنَ الْخَطِيَّةِ صِرْتُمْ عَبِيداً لِلْبِرِّ. (رومية 6: 17–18)

والعبارة اليونانية المترجمة هنا "من القلب" هي "*ek kardias*". ويمكن أن تترجم بحرفية أكثر فتصبح نابعة من القلب. وكما علّم بولس في هذه الفقرة، يطلب الله طاعة من كل القلب– طاعة تنبع من القلب.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

بعد أن رأينا أن الدوافع الصحيحة ضرورية لأن الأعمال الصالحة يجب أن تُعمَل من القلب، لا بد أن ننتقل الآن الى سبب آخر لضرورة هذه الدوافع الصحيحة عند صنع القرارات السلوكية: تعليم الكتاب المقدس عن الرياء.

الرياء

يظهر الرياء في الكتاب المقدس بأشكال عدة، ولكننا مهتمون بصورة خاصة بالرياء كمظهرٍ مزيّفٍ للأخلاق. عندما ينسجم سلوكنا الخارجي مع كلمة الله، دون انسجام دوافعنا، فنحن نتصرف برياء، وأعمالنا لا ترضي الله. استمع إلى تعليم يسوع في متى 6: 2-16:

فَمَتَى صَنَعْتَ صَدَقَةً فَلاَ تُصَوِّتْ قُدَّامَكَ بِالْبُوقِ كَمَا يَفْعَلُ الْمُرَاؤُونَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي الأَزِقَّةِ لِكَيْ يُمَجَّدُوا مِنَ النَّاسِ... وَمَتَى صَلَّيْتَ فَلاَ تَكُنْ كَالْمُرَائِينَ فَإِنَّهُمْ يُحِبُّونَ أَنْ يُصَلُّوا قَائِمِينَ فِي الْمَجَامِعِ وَفِي زَوَايَا الشَّوَارِعِ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ... وَمَتَى صُمْتُمْ فَلاَ تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمُرَائِينَ فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. (متى 6: 2-16)

إن الإحسان إلى المحتاجين، الصلاة والصوم هي تصرفات صالحة بحد ذاتها. لكن يسوع أدانها في هذه الظروف، معتبراً إياها أعمال رياء، لأنها كانت مدفوعة بالكبرياء وليس بمحبة الله والقريب. وبإدانة الدوافع الشريرة بهذه الطريقة، أظهرت تعاليم الكتاب المقدس أن السلوك الصالح يجب أن ينبع من دوافع صالحة.

لكن يجب أن نتنبه ألا نحصر الرياء بالذين يدّعون الإيمان؛ فيمكن أن تكون حتى للمسيحيين دوافع لا تتطابق مع تصرفاتهم الخارجية. ولعل المثل الواضح على ذلك هو الطريقة التي عامل فيها بعض المسيحيين من الخلفية اليهودية في غلاطية، المسيحيين من الخلفية الوثنية. فقد توقف هؤلاء المسيحيون من اليهود عن التقيد بالكثير من الممارسات اليهودية التقليدية، إذ أدركوا أن موت المسيح وقيامته يتطلبان منهم أن يطبّقوا مبادئ العهد القديم بطرق جديدة. إلا أنهم حافظوا على بعض التقاليد القديمة_التي أعطتهم إكراماً أكثر من المسيحيين من الخلفية الوثنية.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

والمدهش في الأمر، أنه حتى الرسول بطرس وبرنابا المُرسَل كانا من بين أولئك المسيحيين المرائين. ومما يثر الدهشة أكثر، هو عندما ندرك أن بطرس كان أول من كرز بالإنجيل إلى الوثنيين، كما نقرأ في أعمال الرسل 10؛ وبرنابا كان أول المُرسَلين إلى العالم الوثني، كما نقرأ في أعمال الرسل 13. استمع إلى ما يقوله بولس عن هذه المشكلة في غلاطية 2: 11-13:

وَلَكِنْ لَمَّا أَتَى بُطْرُسُ إِلَى أَنْطَاكِيَةَ قَاوَمْتُهُ مُوَاجَهَةً، لأَنَّهُ كَانَ مَلُوماً. لأَنَّهُ قَبْلَمَا أَتَى قَوْمٌ مِنْ عِنْدِ يَعْقُوبَ كَانَ يَأْكُلُ مَعَ الأُمَمِ، وَلَكِنْ لَمَّا أَتَوْا كَانَ يُؤَخِّرُ وَيُفْرِزُ نَفْسَهُ، خَائِفاً مِنَ الَّذِينَ هُمْ مِنَ الْخِتَانِ. وَرَاءَى مَعَهُ بَاقِي الْيَهُودِ أَيْضاً، حَتَّى إِنَّ بَرْنَابَا أَيْضاً انْقَادَ إِلَى رِيَائِهِمْ! (غلاطية 2: 11-13)

ورداً على هذا الرياء، وبّخ بولس بطرس وجهاً لوجه، مشيراً إلى أن بطرس نفسه كان يعيش كوثني، وليس كيهودي. فقد عرف بطرس أن الوثنيين مساوون لليهود في المسيح. لكن خوفاً من أن يخسر احترامه، كان بطرس مستعداً أن يتصرف بطرق تركت انطباعاً بأن المسيحيين الوثنيين أقل شأناً من المسيحيين اليهود. كانت تصرفات بطرس تتصف بالرياء، لأنها مدفوعة برغبة أنانية للمحافظة على سمعته، بدلاً من الرغبة الإلهية في إكرام الله وكنيسته.

وبعد أن رأينا أن الأعمال الصالحة يجب أن تُعمل من القلب، وبدون رياء، أصبحنا مستعدين للنظر في سبب ثالث لضرورة الدوافع الصحيحة، وهو الفضيلة التي يجب أن يتصف بها جميع أتباع المسيح.

الفضيلة

بكلمات بسيطة، الفضيلة هي ميزة أخلاقية حميدة. يمكننا أيضاً أن نتكلم عن الفضائل بصيغة الجمع، عندما نشير إلى الجوانب المختلفة للميّزة الأخلاقية الحميدة. إن الفضيلة مهمة في دراستنا للدوافع لأن الشخصية الفاضلة تعبّر عن نفسها من خلال الدوافع الصحيحة. ويتضمن الكتاب المقدس لوائح عديدة حول ما يمكننا أن نسمّيه فضائل، لكن لعل اللائحة الأكثر ألفةَ لدينا هي لائحة بولس لثمر الروح. وصف بولس ثمر الروح في غلاطية 5: 22-23 بهذه الطريقة:

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُوَ: مَحَبَّةٌ فَرَحٌ سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ لُطْفٌ صَلاَحٌ، إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ تَعَفُّفٌ. (غلاطية 5: 22-23)

هذه اللائحة ليست شاملة، لكنها موجز جيد للصفات الأخلاقية التي يريد الله أن يمتلكها أولاده. يجب أن تشكل كل من هذه الفضائل نزعة داخلية تدفعنا للقيام بأعمال سلوكية. هذا يعني، أن الفضائل هي بمثابة دوافع.

على سبيل المثال، يجب أن تدفعنا فضيلة المحبة المسيحية لكي نتصرف بطرق تظهر هذه المحبة. كذلك، الأشخاص الفرحون بالروح القدس يشكل فرحهم دافعاً لهم. والأشخاص المسالمون يدفعهم السلام الذي في داخلهم. والأشخاص الصبورين يتحركون بدافع من صبرهم. كما علّم يسوع في متى 12: 35:

اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَنْزِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنَ الْكَنْزِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشُّرُورَ. (متى 12: 35)

سوف نركّز في بقية هذا الدرس، على فضيلتيّ المحبة والإيمان، لأن الكتاب المقدس يؤكد ضرورتهما من أجل الأعمال الصالحة. كتمهيد لذلك، دعونا ننظر بإيجاز إلى فكرة أننا إن لم نمتلك فضيلتَي المحبة والإيمان، وإن لم تشكلا الدافع وراء سلوكنا، فلا يمكننا القيام بأي عمل صالح. فكر أولاً في الطريقة التي تحدث فيها بولس عن المحبة إلى كنيسة كورنثوس. كتب بولس في رسالة كورنثوس الأولى 13: 1-3 هذه الكلمات:

إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَقَدْ صِرْتُ نُحَاساً يَطِنُّ أَوْ صَنْجاً يَرِنُّ. وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلَسْتُ شَيْئاً. وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئاً. (1 كورنثوس 13: 1-3)

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

تعلّم هذه الفقرة بكل وضوح أن أعمالنا يجب أن تنبع من المحبة التي في قلوبنا. بعبارة أخرى، إن لم تنبع أعمالنا من المحبة التي في قلوبنا، فلن يعتبرها الله صالحة. ويعلمنا عبرانيين 11: 6 أن فضيلة الإيمان يجب أن تشكل دافعاً. استمع إلى هذه الكلمات هناك:

وَلَكِنْ بِدُونِ إِيمَانٍ لاَ يُمْكِنُ إِرْضَاؤُهُ، لأَنَّهُ يَجِبُ أَنَّ الَّذِي يَأْتِي إِلَى اللهِ يُؤْمِنُ بِأَنَّهُ مَوْجُودٌ، وَأَنَّهُ يُجَازِي الَّذِينَ يَطْلُبُونَهُ. (عبرانيين 11: 6)

وفقاً لهذه الفقرة، يجب أن تدفعنا فضيلة الإيمان لكي نعمل بطرق أمينة. وعندها فقط سوف يسرّ الله بسلوكنا.

تشدّد الأسفار المقدسة على الفضيلة المسيحية لأن الدوافع مهمة جداً في الحياة السلوكية. وكل فضيلة نتعلمها في الكتاب المقدس تلعب دور الدافع في داخلنا. لذلك، في كل مرة تشدّد الأسفار المقدسة على أهمية الفضائل المسيحية، فإنها تشدّد أيضاً على أهمية الدوافع الطاهرة.

الآن وبعد أن رأينا أهمية أن تكون لدينا الدوافع الصحيحة عندما نصنع قرارات سلوكية، أصبحنا مستعدين لفحص دافع الإيمان بالتفصيل. ما هو سبب ضرورة أن نتحرك بدافع الإيمان؟ وكيف يشكل الإيمان دافعاً لنا؟

دافع الإيمان

إن أي شخص يعرف الكتاب المقدس يدرك أن الإيمان هو الاهتمام الرئيسي في كلا العهدين القديم والجديد. وقد كان لموضوع الإيمان مركزاً رئيسياً في اللاهوت المسيحي التقليدي. وسنركز في هذا الدرس بصورة خاصة على الإيمان كدافع أساسي في السلوكيات. كما سندرس كيف يدفعنا الإيمان لكي نطيع كلمة الله.

يخبرنا الكتاب المقدس الكثير عن الإيمان بحيث يستحيل علينا أن نشير إلى كل الطرق التي يلعب فيها الإيمان دور الدافع. لذلك، سوف نحصر بحثنا في بعض الطرق الشائعة والأساسية التي يلعب فيها دافع الإيمان دوراً في عملية صنع القرارات. أولاً، سوف نتكلم عن الطرق التي يلعب فيها الإيمان الخلاصي دور الدافع. ثانياً، سوف نبحث في دافع التوبة كتعبير أولي عن الإيمان. وثالثاً، سوف نتحدث عن الرجاء كإيمان موجّه نحو المستقبل. دعونا نبدأ بدافع الإيمان الخلاصي الذي يقود إلى الخلاص الأبدي.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

الإيمان الخلاصي

من أجل هدفنا في هذا الدرس يمكننا تلخيص الإيمان الخلاصي كـ:

القبول بحقيقة الإنجيل، والثقة بالمسيح ليخلصنا من خطيتنا.

بالطبع، يمكننا قول الكثير عن الإيمان الخلاصي، لكن سيساعدنا هذا التعريف لنرى كيف يعمل الإيمان كدافع للأعمال الصالحة.

ويتحدث الكتاب المقدس عن الإيمان الخلاصي بطريقتَين رئيسيتَين. فهو من جهة يتحدث عن الإيمان كوسيلة للخلاص الأولي، ومن جهة أخرى، يتحدث عن هذا الإيمان الخلاصي كالتزام مستمر خلال حياتنا المسيحية. دعونا أولاً ننظر إلى الإيمان الخلاصي كوسيلة للخلاص الأولي.

وسيلة الخلاص الأولي

عندما نقول إن الإيمان الخلاصي هو الوسيلة للخلاص الأولي، فنحن نعني أنه الأداة التي يستخدمها الله ليطبق الخلاص على حياتنا. ويمكننا أن نشبّه الإيمان بالفرشاة التي يستخدمها الدهّان ليدهن بيتاً. فكما أن الفرشاة لا تجعل البيت مستحقاً لأن يُدهَن، كذلك الأمر بالنسبة للإيمان فهو لا يجعلنا مستحقين للخلاص. الفرشاة هي مجرد وسيلة يستخدمها الدهّان ليُخرج الدهان من الدلو ويدهن به حيطان البيت. كذلك، الإيمان هو وسيلة يستخدمها الله ليطبّق الخلاص على الأفراد الخطاة. لا شيء في إيماننا يستحق الخلاص. في حين، استحقت حياة المسيح وموته الخلاص، ويعطينا يسوع هذا الخلاص مجاناً بواسطة الإيمان. استمع إلى كلمات بولس في رومية 5: 1–2:

فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الَّذِي بِهِ أَيْضاً قَدْ صَارَ لَنَا الدُّخُولُ بِالإِيمَانِ إِلَى هَذِهِ النِّعْمَةِ الَّتِي نَحْنُ فِيهَا مُقِيمُونَ. (رومية 5: 1–2)

إن هذا التبرير الذي تحدث عنه بولس هنا، حيث يغفر الله الخطية ويعلننا أبراراً، حصل بالنسبة لبولس وقرائه عندما اختبروا الإيمان الخلاصي لأول مرة. إن هذا النوع من التبرير يحدث في

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

المرحلة الأولى من خلاصنا. إنه عمل الله الرحوم الذي يغفر من خلاله لنا خطيتنا ويحسب استحقاق المسيح لصالحنا. وهذا التبرير يغيّر حالتنا إلى الأبد.

قبل أن نتبرّر، كنا خطاة وأعداء لله. لكن بعد أن خَلُصنا، أصبحنا قديسيه المحبوبين. أما الوسيلة التي يستخدمها الله في تبريرنا، فهي الإيمان الخلاصي.

في إطار خلاصنا الأولي، يدفعنا الإيمان الخلاصي لكي نتوب عن خطيتنا ونثق بالمسيح من أجل خلاصنا. وهذه الأعمال الصالحة هي البراهين الأولى على خلاصنا، حيث أنه لا يمكن أن يكون الدافع وراءها سوى الإيمان الخلاصي الحقيقي.

بالإضافة إلى اعتبار الإيمان الخلاصي كوسيلة خلاصنا الأولي، يشير الكتاب المقدس أيضاً إلى الإيمان الخلاصي كالتزامنا المستمر بالمسيح.

الالتزام المستمر

وباعتباره التزام مستمر، يتألف الإيمان الخلاصي من القبول المستمر بحقيقة الإنجيل، والثقة المستمرة بالمسيح ليخلصنا من خطيتنا. إنه التمسك الثابت بنفس الإيمان الذي كان وسيلة خلاصنا الأولي. ويؤثر هذا النوع من القبول والثقة على كل ما نؤمن به، سواء كانت الطريقة التي نفكر فيها بأنفسنا، عائلاتنا، وظائفنا، مجتمعاتنا، وكل شيء آخر في حياتنا. وبالتالي، إن الإيمان الخلاصي هو النظرة العالمية الشاملة الثابتة نسبياً في قلوبنا والتي تؤثر على كل قراراتنا. إنه إيمان عملي ويشكل الأساس والدافع وراء أعمالنا الصالحة.

لكن علينا أن نحذر ألا ننظر إلى الإيمان كمجرد عمل فكري. فهو ليس مجرد اعتراف بأن يسوع هو الرب، وأننا نخلص من خلال إنجيله. فكما يشير يعقوب 2: 19، حتى الشياطين تقرّ فكرياً بالحقائق المتعلقة بالله، ولكن هذا لا يخلصها.

بدلاً عن ذلك، يشمل الإيمان الخلاصي قلوبنا أيضاً. إنه نزعة داخلية تجعلنا نفكر، نتكلم ونتصرف بطرق ترضي الله. وهكذا، إن الإيمان الخلاصي يشمل أعمالاً فكرية. لكن عندما يكون إيماننا حقيقياً، فإن هذه الأعمال الفكرية تنبع من قلوبنا. وبالتالي، فإن الإيمان الخلاصي يقوم بدور الدافع في حياة كل مؤمن، بحيث يمكّننا ويلزمنا على القيام بأعمال صالحة. على سبيل المثال، استمع إلى الطريقة التي يتحدث فيها تكوين 15: 6 عن إيمان إبراهيم:

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

فَآمَنَ بِالرَّبِّ فَحَسِبَهُ لَهُ بِرّاً. (تكوين 15: 6)

يصف هذا العدد إيمان ابراهيم في الوقت الذي قطع فيه الله عهداً معه. ويُستَخدم هذا العدد عادة لتعريف الإيمان الخلاصي أو التبريري. ومن المفيد أن نعرف أن حُسب له براً، تعني أعلنه الله باراً. وهكذا، يعلّم هذا العدد أن إبراهيم خَلُص أو تبرّر بواسطة الإيمان.

لهذا السبب استعان بولس بتكوين 15: 6 ليبرهن عقيدة التبرير بالإيمان. وقد فعل ذلك أيضاً في رومية 4 وغلاطية 3. وفي كل مرة قدّم بولس البراهين الشاملة المستندة على مثال إبراهيم، شارحاً أن خلاص إبراهيم بالإيمان هو مثالٌ لكل مؤمن في المسيح. وكمثال بولس، غالباً ما استعان اللاهوتيون البروتستانت بمثال إبراهيم، ليبرهنوا أن الإيمان وحده وسيلة كافية للتبرير. وعلى الرغم من أن هذه المناقشة صحيحة ودقيقةً، لكن يمكننا أن نتمعّن فيها أكثر من ذلك.

الحقيقة هي أنه كان لإبراهيم إيمانٌ خلاصيٌ قبل أن قطع الله عهدًا معه في تكوين 15 بوقت طويل. فبحسب عبرانيين 11: 8 وتكوين 12: 4، تصرّف إبراهيم بإيمان عندما ترك حاران ليذهب إلى أرض الموعد– وكان ذلك قبل وقت طويل من التبرير المذكور في تكوين 15.

وقد تمتّ طقوس العهد المذكورة في تكوين 15 بعد أن وصل إبراهيم إلى أرض الموعد، وذلك بعد عدة سنوات من إيمانه. من المؤكد أن إيمان إبراهيم في تلك اللحظة كان إيماناً خلاصياً تبريرياً. لكنه لم يكن إيماناً جديداً، إلا أنه نفس الإيمان الذي ميّز إبراهيم طوال حياته كمؤمن. فعندما استخدم بولس هذا الحدث ليقدّم لنا مثالاً، لم يُشِر إلى حقيقة أن الخلاص الأولي يحصل عن طريق الإيمان فقط. بل أراد أن يقول أيضاً أنه يجب على كل مؤمن الحفاظ على إيمانه الخلاصي عن طريق الالتزام المستمر، تماماً كما فعل إبراهيم. وكما كتب بولس في غلاطية 2: 20:

مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ، فَأَحْيَا لاَ أَنَا بَلِ الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ. فَمَا أَحْيَاهُ الآنَ فِي الْجَسَدِ فَإِنَّمَا أَحْيَاهُ فِي الإِيمَانِ، إِيمَانِ ابْنِ اللهِ، الَّذِي أَحَبَّنِي وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِي. (غلاطية 2: 20)

واستمع إلى عبرانيين 10: 38–39، حيث يقتبس الكاتب من العهد القديم ويربط الشاهد بالكنيسة الأولى:

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

أَمَّا الْبَارُّ فَبِالإِيمَانِ يَحْيَا، وَإِنِ ارْتَدَّ لاَ تُسَرُّ بِهِ نَفْسِي. أَمَّا نَحْنُ فَلَسْنَا مِنَ الاِرْتِدَادِ لِلْهَلاَكِ، بَلْ مِنَ الإِيمَانِ لاِقْتِنَاءِ النَّفْسِ. (عبرانيين 10: 38-39)

إن أولئك المؤمنين والمخلَّصينِ-أي أولئك الذين يمتلكون الإيمان الخلاصي لا يرتدوا ولا يهلكوا. بل يستمروا في الإيمان. إن الإيمان الخلاصي الحقيقي يميزنا طوال أيام حياتنا. فإن لم يستمر هذا الإيمان فينا، فهذا يعني أنه لم يكن إيماناً خلاصياً حقيقياً.

ويدفعنا الايمان الخلاصي الحقيقي أيضاً للقيام بأعمال صالحة. وهكذا، إن لم نشعر بالدافع للقيام بالأعمال الصالحة، فإن إيماننا مزيّف؛ حتى أنه لا يقدر أن يخلصنا. وكما كتب يعقوب في يعقوب 2: 17-18:

هَكَذَا الإِيمَانُ أَيْضاً، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ أَعْمَالٌ، مَيِّتٌ فِي ذَاتِهِ. لَكِنْ يَقُولُ قَائِلٌ: أَنْتَ لَكَ إِيمَانٌ، وَأَنَا لِي أَعْمَالٌ! أَرِنِي إِيمَانَكَ بِدُونِ أَعْمَالِكَ، وَأَنَا أُرِيكَ بِأَعْمَالِي إِيمَانِي. (يعقوب 2: 17-18)

يتجلى الإيمان الخلاصي من خلال الأعمال الصالحة التي ترافقنا خلال حياتنا المسيحية.

تأمّل عبرانيين 11، والذي يسمّى أحياناً بـ "إصحاح الإيمان". يلخّص هذا الإصحاح الإيمان الخلاصي للعديد من مؤمني العهد القديم، ويشير إليهم كأمثلة لإيماننا. ويشدّد عبرانيين 11 على أن جميع هؤلاء الأشخاص عاشوا بالإيمان – ولم يكن ذلك عندما آمنوا فقط، ولكن طوال أيام حياتهم. وبالإضافة إلى ذلك، إن الأعمال الكثيرة التي قاموا بها كانت مدفوعة بإيمانهم المستمر.

على سبيل المثال، نتعلم من عبرانيين 11: 4، أن إيمان هابيل الخلاصي دفعه لتقديم ذبائح مرضية عند الله. وقد أقرّ هابيل بحقيقة أن لله الحق أن يطلب أيةَ ذبيحةٍ يشاء، وقد كان على ثقة بأن الله سيباركه إن أطاع إرادة الله. وبسبب إيمانه، كان هابيل على استعدادٍ لأن يضحّي بأشياء ذاتَ قيمةٍ بالغةٍ لديه.

ونتعلم من عبرانيين 11: 7، أن إيمان نوح الخلاصي دفعه إلى بناء الفلك، وإلى الكرازة ضد الخطية التي رآها في العالم. وقد أقرّ نوح بحقيقة أن الله سوف يستخدم الفُلك ليخلصه هو وعائلته من الطوفان، وكان على ثقة بأن لله سينقذه بهذه الطريقة. دفع هذا الإيمان نوح لمواجهة ذلك التحدي

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

الكبير في بناء الفلك والكرازة بالإنجيل للناس حوله. فقد تحمّل سخرية جيرانه لأنه كان واثقاً أن الله نطق بالحق، وأنه كان مستعداً أن ينقذ جيرانه إذا رجعوا إليه بإيمان.

نتعلم من عبرانيين 11: 17–19، أن إيمان إبراهيم الخلاصي دفعه ليطيع وصية الله ويقدّم ابنه إسحق ذبيحةً. وقد أقرّ إبراهيم بحق الله في طلب موت إسحق، وكان واثقاً أن الله سيباركه هو وإسحق من خلال هذا العمل. وقد كان إيمانه قوياً لدرجة أنه آمن أن الله سوف يقيم إسحق من الأموات. وقَبِلَ الله، برحمته، إيمان إبراهيم دون أن يطلب موت إسحق.

ونتعلم من عبرانيين 11 :25، أن إيمان موسى دفعه ليعتبر نفسه واحداً من العبيد الإسرائيليين، على الرغم من أنه كان بإمكانه التمتع ببركات الانتماء لبيت فرعون. فقد تنازل موسى عن حياة الرفاهية والسلطة وأقرّ بحقيقة أن كل البركات الحقيقية تأتي من عند الله. وانضم طوعاً إلى أمة إسرائيل المستعبدة، لأنه آمن أن الله سيفديهم من عبوديتهم.

بالإضافة إلى ذلك، نقرأ في الأعداد 33–38، أن إيمان قديسيّ العهد القديم دفعهم ليقهروا ممالك، يحكموا بالعدل، ينجوا من المخاطر على حياتهم، ينتصروا في المعارك، يتحمّلوا العذاب، يواجهوا الإعدام بشجاعة، ويتحملوا أنواع كثيرة من الاضطهاد وسوء المعاملة. وقد كان باستطاعتهم الثبات والانتصار لأنهم كانوا واثقين من صلاح الله تجاههم، كما أنهم وثقوا به كمخلّص لحياتهم. لقد أعطاهم هذا الإقرار وهذه الثقة القوة والرغبة في إرضاء الله أكثر من أيّ شيءٍ آخر في حياتهم.

والشيء ذاته ينطبق علينا اليوم. يجب أن نبقى راسخين في إيماننا طوال أيام حياتنا. وعلينا أن نقرّ بالحقائق التي يعلنها الله في كلمته باستمرار، وأن نثق ببركاته وخلاصه بشكلٍ جدي.

كما رأينا في دروس سابقة، ينكر أولئك الذين ينقصهم الإيمان الخلاصي، أي غير المؤمنين في العالم، حق الله ويرفضون الثقة به. وبسبب عبوديتهم للخطية، فإنهم ينكرون صلاح الله وسيادته، ويزدرون الخلاص الذي يقدمه لهم، مدفوعين نحو الخطية فقط.

لكن عندما نؤمن حقيقةً أن الله هو تماماً كما أعلن نفسه، ونثق فيه من كل وجه؛ عندها ندرك أن السعادة والشبع تأتي منه فقط. يجب أن ندرك أن طاعة إرادة الله هي السبيل للحصول على بركاته. ويمكن لإيماننا، بهذه الطريقة، أن يدفعنا نحو الأعمال الصالحة أيضاً.

انطلاقاً من هذا المفهوم للإيمان الخلاصي في أذهاننا، أصبحنا جاهزين للبحث في التوبة كطريقةٍ ثانية يعمل دافع الإيمان من خلالها في الحياة المسيحية.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

التوبة

التوبة في الكتاب المقدس، هي جانبٌ صادقٌ من الإيمان نرفض بواسطته الخطية ونبتعد عنها بصدق. إنها أكثر من مجرد اعتراف بأننا خطاة، ومن شعورنا بالندم على خطايانا. طبعاً، تتضمن التوبة كل هذه الأمور. لكن لن تكون توبتنا حقيقية ما لم نترك خطايانا فعلاً ونتحول إلى الصلاح.

إن التوبة والإيمان، في الكتاب المقدس، وجهان لعملة واحدة. الإيمان هو التحول إلى المسيح، والتوبة هي الابتعاد عن الخطية. إن هذان التحولان في الواقع عمل واحد. لكن الفرق الرئيسي بينهما، هو أن الإيمان مُفسَّرٌ من منطلق ما نقبله، والتوبة مُفسَّرةٌ من منطلق ما نتركه خلفنا. إن الدافع وراء أعمال التوبة في هذه العملية هو مشاعر التوبة، أي توبتنا وندمنا. وهذه المشاعر هي تعبير عن الإيمان؛ بالإيمان نحن نقرّ بالتوبة كجزء أساسي من رسالة الإنجيل، ونثق بأن الله سيغفر لنا عندما نتوب.

خذ على سبيل المثال، قصة تجديد كرنيليوس الوثني، المدونّة في أعمال الرسل 10. تم إرسال بطرس، في تلك القصة، إلى كرنيليوس وأهل بيته ليبشرهم بالإنجيل. وفي أثناء كلامه معهم، حلّ الروح القدس على جميع أهل البيت، مبرهناً أنهم اختبروا الإيمان الخلاصي. وقد ذكر بطرس لاحقاً في أعمال الرسل 11هذه الحادثة أمام الكنيسة في أورشليم. حيث اعتبر ردّ الكنيسة أن التوبة والإيمان متساويين بقوة. استمع إلى ردّ الكنيسة في أعمال الرسل 11: 18:

فَلَمَّا سَمِعُوا ذَلِكَ سَكَتُوا وَكَانُوا يُمَجِّدُونَ اللهَ قَائِلِينَ: «إِذاً أَعْطَى اللهُ الأُمَمَ أَيْضاً التَّوْبَةَ لِلْحَيَاةِ!». (أعمال الرسل 11: 18)

كان تجديد كرنيليوس نابعاً من مشاعر توبة حقيقية. في الواقع، كانت العلاقة بين الإيمان الخلاصي والتوبة قوية لدرجة أن الكنيسة اعتبرت أنه يمكن تلخيص التجديد وفقاً للتوبة.

ساوى يوحنا المعمدان، بصورة مشابهة، بين دافعَي التوبة والإيمان. عندما أتى إليه الفريسيون وَالصَّدُّوقِيُّونَ ليعتمدوا، شجّعهم يوحنا على القيام بأعمال صالحة تليق بالتوبة. استمع إلى كلمات يوحنا في متى 3: 8:

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

فَاصْنَعُوا أَثْمَاراً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ. (متى 3: 8)

كان القصد من معمودية يوحنا للتوبة أن تكون لها نتائج لمدى الحياة. كان الغرض منها أن تدفع الناس إلى ترك خطاياهم والتمسك بالصلاح من ذلك الوقت ولاحقاً. فالتوبة الحقيقية، في فكر يوحنا، تشكّل الدافع وراء الأعمال الصالحة.

وقد علّم الرسول بولس المبدأ ذاته. عندما وقف أمام الملك أغريباس شارحاً له لماذا سجن، لخّص بولس الإنجيل بالنسبة للتوبة والأعمال الصالحة. استمع إلى كلماته في أعمال الرسل 26: 20:

بَلْ أَخْبَرْتُ أَوَّلاً الَّذِينَ فِي دِمَشْقَ وَفِي أُورُشَلِيمَ حَتَّى جَمِيعِ كُورَةِ الْيَهُودِيَّةِ ثُمَّ الأُمَمَ أَنْ يَتُوبُوا وَيَرْجِعُوا إِلَى اللهِ عَامِلِينَ أَعْمَالاً تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ. (أعمال الرسل 26: 20)

مرة أخرى، إن التوبة والرجوع إلى الله وجهان لعُملة واحدة. عندما تتوب قلوبنا بالفعل، فإن توبتنا تدفعنا لترك خطايانا والعيش بطرق ترضي الله.

يوجد الكثير من الأمثلة البارزة للتوبة في الكتاب المقدس. على سبيل المثال، يدوّن لنا إنجيل لوقا 19: 8 توبة زكا العشار. عندما آمن زكا بالمسيح توقف عن غش الناس، أعطى نصف ممتلكاته للفقراء، وردّ أربعة أضعاف ما سلبه من الناس. لقد تاب عن خطية السرقة، وتحوّل نحو حياة مستمرة من الإيمان والأعمال الصالحة.

عندما آمن بولس الرسول، في أعمال الرسل 9، تاب عن خطاياه ضد الكنيسة، وأصبح مبشّراً عظيماً، مخاطراً بحياته للكرازة بالإنجيل، وساعياً بتواضع للشركة مع أولئك الذين سبق واضطهادهم. لقد تاب عن خطية اضطهاده للكنيسة، وبدأ حياة خدمة أمينة للمسيح.

ونقرأ، في 2 صموئيل 12، عن توبة داود بعد أن واجهه ناثان النبي. فقد ارتكب داود خطية الزنا مع بثشبع، ودبّر موت زوجها أوريّا ليخفي خطيته. لكن داود رجع عن خطيته باعترافه بها وإظهاره توبةً كبيرةً. وتحوّل إلى حياة الإيمان عن طريق العيش بحسب إرادة الله، وخاصةً عن طريق تسبيح الله على الغفران الذي ناله، وعن طريق تعليم الآخرين على التوبة أيضاً. وقد احتفل بذكرى توبته فيما اعتُبِر أعظم مزمور توبة في الكتاب المقدس: مزمور 51. استمع إلى ما كتبه داود في مزمور 51: 12-14:

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

رُدَّ لِي بَهْجَةَ خَلاَصِكَ وَبِرُوحٍ مُنْتَدِبَةٍ اعْضُدْنِي. فَأُعَلِّمَ الأَثَمَةَ طُرُقَكَ وَالْخُطَاةُ إِلَيْكَ يَرْجِعُونَ. نَجِّنِي مِنَ الدِّمَاءِ يَا اللهُ إِلَهَ خَلاَصِي فَيُسَبِّحَ لِسَانِي بِرَّكَ. (مزمور 51: 12-14)

شكّلت التوبة في حياة داود، دافعاً لكي يفرح ويطيع الله من قلبه، ولكي يعلّم الآخرين كلمة الله ويرنّم تسبيحات الرب.

إن مثال داود في التوبة مهمٌ خاصةً بالنسبة للمسيحيين، لأن داود كان مؤمناً قوياً ومثالاً للإيمان قبل سقوطه في الخطية. فقبل خطيته، أظهر داود إيمانه بالله مرة تلو الأخرى خلال حياته. وقد بارك الله إيمان داود عن طريق رفعه من راعٍ متواضع، إلى مقاتل جبار، ثم إلى ملك على أمة إسرائيل. لكن يبدو أن داود وهو في قمة رضى الله، بعد أن امتُحِن إيمانه مراراً، سقط في خطية مريعة، وأصبح داود زاني وقاتل. ويسقط المؤمنون اليوم في خطايا مشينة مماثلة أيضاً.

ويلخّص السؤال 82 من تعليم أصول الإيمان الوستمنستري المختصر وجوابه، هذا التعليم الكتابي بصورة جيدة، والسؤال هو التالي:

هل أي إنسان قادر تماماً أن يحفظ وصايا الله؟

ويجيب أصول الإيمان:

لا إنسان منذ السقوط قادر في حياته أن يحفظ تماماً وصايا الله، ولكن يومياً يكسرها بالفكر، بالقول، وبالفعل.

نحن نقع في الخطية كل يوم. وهذا يعني أن لدينا التزام وفرصة للتوبة كل يوم.

قد تكون على علمٍ أنه في سنة 1517، بدأ عن غير قصد اللاهوتي الألماني مارتن لوثر الإصلاح البروتستانتي عن طريق لصق اطروحاته الـ 95 الشهيرة على باب كنيسة وتنبرج. لكن هل تعرف ما هي أولى تلك الاطروحات؟ كانت بكل بساطة:

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

عندما قال ربنا وسيدنا يسوع المسيح، "توبوا،" أراد أن تكون كل حياة المؤمنين حياة توبة.

ولأن الحياة المسيحية حياة إيمان، يجب أن تكون حياة توبة أيضاً. فبينما نتقدّم للأمام واثقين في وعود الله، فإننا ننظر إلى الخلف من وقت لآخر. وعندما نرى كيف أننا أسأنا لله وللآخرين، يدفعنا إيماننا لطلب المغفرة منهم، وللتصرف بطريقة مختلفة في المستقبل. إن اعترافنا بخطايا معينة، من الناحية العملية، مُربكٌ في بعض الأحيان. لكن عندما نثق بغفران الله وخلاصه، ونرغب في إضاءة، فإن ذلك سيدفعنا لكي نتواضع، نتوب عن خطايانا ونسعى لنعيش حياة البر التي تميّز ملكوت الله.

بعد أن درسنا الإيمان الخلاصي والتوبة، أصبحنا مستعدين لبحث موضوع الرجاء كناحية ثالثة لدافع الايمان.

الرجاء

يتحدث الكتاب المقدس عن الرجاء بطرق مختلفة. لكن من أجل غرضنا سيساعدنا التفكير بتلك المرات التي يوصف فيها الرجاء كإيمان موجّه نحو النواحي المستقبلية لخلاصنا في المسيح.

يعلّم الكتاب المقدس أن الخلاص لن يكتمل في هذه الحياة. فقد تبررنا، ونلنا الروح القدس. لكننا لم نصبح كاملين بعد. فما زلنا نجاهد ضد الخطية. وما زلنا نتألم بسبب المرض والموت. وما زلنا نتصارع مع الكثير من المشاكل والفساد في العالم. عندما نموت ونذهب الى السماء، سوف نتحرّر من هذه المشاكل، لكن حتى هناك لن يكون خلاصنا كاملاً. فسوف ننتظر رجوع يسوع الى الأرض لكي يُصلح كل الأمور ويجدّدها. كما سنكون بانتظار أجسادنا الممجدة المُقامة، والسماء والأرض الجديدتين.

غالباً ما تشجّع شعب الله في العهد القديم ليرجو خلاصه المستقبلي. وتماشياً مع هذا المثال، عادةً ما يشير العهد الجديد إلى ثقتنا في النواحي المستقبلية للخلاص، كرجاء المسيحية العظيم. على سبيل المثال، تحدث بولس في رومية 8: 23–24، عن رجائنا بالقيامة العتيدة بهذه الكلمات:

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

وَلَيْسَ هَكَذَا فَقَطْ بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضاً نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا مُتَوَقِّعِينَ التَّبَنِّيَ فِدَاءَ أَجْسَادِنَا. (رومية 8: 23-24)

الرجاء هو الإيمان الواثق أنه كما أن يسوع أعطانا الروح القدس، فهو سيعود حتماً ليجدّد العالم ويهبنا ميراثنا فيه. وهذا النوع من الرجاء ثابت وأكيد مثل الإيمان الخلاصي.

يتحدث عبرانيين 6 عن هذا الرجاء عن طريق ربطه بإيمان إبراهيم بوعود عهد الله معه. وهو يعلن أن خلاصنا المستقبلي يستند على الوعود التي قطعها الله مع إبراهيم. استمع إلى عبرانيين 6: 17-19:

فَلِذَلِكَ إِذْ أَرَادَ اللهُ أَنْ يُظْهِرَ أَكْثَرَ كَثِيراً لِوَرَثَةِ الْمَوْعِدِ عَدَمَ تَغَيُّرِ قَضَائِهِ، تَوَسَّطَ بِقَسَمٍ، حَتَّى... تَكُونُ لَنَا تَعْزِيَةٌ قَوِيَّةٌ، نَحْنُ الَّذِينَ الْتَجَأْنَا لِنُمْسِكَ بِالرَّجَاءِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَنَا، الَّذِي هُوَ لَنَا كَمِرْسَاةٍ لِلنَّفْسِ مُؤْتَمَنَةٍ وَثَابِتَةٍ. (عبرانيين 6: 17-19)

رجاؤنا ليس رغبة محتملة أو أمنية. إنه ثابت وأكيد لأن الله أقسم أن يتمّم خلاصنا.

يدفعنا هذا النوع من الرجاء نحو الأعمال الصالحة بطرق مختلفة. فبحسب رسالة 1 تسالونيكي 5: 6-10، تدفعنا خوذة الخلاص للاستعداد وضبط النفس. وبمقارنة هذه الأعداد بأخرى تتحدث عن سلاح الله، يتضح أن إحدى الطرق التي تساعدنا فيها خوذة الخلاص في ضبط أنفسنا، هي عن طريق حمايتنا من الهجمات الشيطانية والإغراءات. وهكذا، يعمل الرجاء كدافع نحو الأعمال الصالحة عن طريق إعطائنا سبباً لمقاومة الخطية.

وبينما نتطلع إلى البركات التي تنتظرنا، نعلم أننا سنتبارك بصورة أعظم إن أطعنا الرب بدل أن نخطئ. ونعلم أيضاً أنه لا يوجد قيمة لملذات الخطية المؤقتة أمام البركات الأبدية التي يخزنها الله لنا.

نتعلم من كولوسي 1: 5، أيضاً أن رجاء خلاصنا المستقبلي يدفعنا لنحب بصورة أعظم وأن يكون لنا إيمان أقوى. وبالطبع، ليست المحبة والإيمان أعمالاً صالحة فقط، لكنها دوافع للأعمال الصالحة أيضاً. وهكذا يشكّل الرجاء منبعاً لأعمال صالحة لا حد لها، وذلك عن طريق تحفيز الإيمان والمحبة.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

وتعلّمنا، رسالة 1 تسالونيكي 1: 3 أيضاً أن الرجاء يزيد من قوة احتمالنا، مساعداً إيانا على البقاء ثابتين في الإيمان، والقيام بأعمال مرضية أمام الله.

ولعل أفضل ملخّص للرجاء كدافع، ذاك الذي نجده في رسالة 1 بطرس 1: 13–15. استمع إلى ما كتبه بطرس هناك:

لِذَلِكَ مَنْطِقُوا أَحْقَاءَ ذِهْنِكُمْ... فَأَلْقُوا رَجَاءَكُمْ بِالتَّمَامِ عَلَى النِّعْمَةِ الَّتِي يُؤْتَى بِهَا إِلَيْكُمْ عِنْدَ اسْتِعْلاَنِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. كَأَوْلاَدِ الطَّاعَةِ لاَ تُشَاكِلُوا شَهَوَاتِكُمُ السَّابِقَةَ فِي جَهَالَتِكُمْ، بَلْ نَظِيرَ الْقُدُّوسِ الَّذِي دَعَاكُمْ، كُونُوا أَنْتُمْ أَيْضاً قِدِّيسِينَ فِي كُلِّ سِيرَةٍ. (1 بطرس 1: 13–15)

إن الرجاء يعدّنا لكي نطيع ونكون قديسين في كل ناحية من نواحي حياتنا. إنه يعدّنا لنحتمل المشقات، تماماً كما فعل يسوع. كما نقرأ في عبرانيين 12: 2–3:

نَاظِرِينَ إِلَى رَئِيسِ الإِيمَانِ وَمُكَمِّلِهِ يَسُوعَ، الَّذِي مِنْ أَجْلِ السُّرُورِ الْمَوْضُوعِ أَمَامَهُ احْتَمَلَ الصَّلِيبَ مُسْتَهِيناً بِالْخِزْيِ، فَجَلَسَ فِي يَمِينِ عَرْشِ اللهِ. فَتَفَكَّرُوا فِي الَّذِي احْتَمَلَ مِنَ الْخُطَاةِ مُقَاوَمَةً لِنَفْسِهِ مِثْلَ هَذِهِ لِئَلاَّ تَكِلُّوا وَتَخُورُوا فِي نُفُوسِكُمْ. (عبرانيين 12: 2–3)

اختبر الكثير منا فقدان الرجاء في مرحلة ما. ربما شعرنا أن الله تخلّى عنا، أو كنا غير متيقنين أن إيماننا صحيح. لكن أياً كان السبب، فإن اليأس غالباً ما يجعلنا نشعر بالعجز، كما لو أن أيّ شيء نعمله عاجز عن تغيير الوضع. إنه يسلبنا المعنى والهدف من حياتنا. ويمكن أن يجعل حتى أبسط الأعمال، يبدو وكأنه صعب الإنجاز.

عندما نفقد الرجاء كمسيحيين، غالباً ما نتوقف عن مقاومة الخطية. ونفقد الهدف من تحمّلنا المشقات التي نواجهها في الحياة. وقد نيأس من الحياة نفسها.

لكن عندما يكون رجاؤنا قوياً، يكون لدينا الدافع لنتحمل أعظم تحديات الحياة، ولكي ننتصر على كل عقبة، لأن عيوننا ثابتة على الله، الذي وعد أن يحفظنا. وبعد أن رأينا أهمية الدوافع، وبحثنا في دافع الإيمان، أصبحنا مستعدين لدراسة موضوعنا الثالث الرئيسي: دافع المحبة.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

دافع المحبة

المحبة هي من أهم المفاهيم المعترف بها في الإيمان المسيحي لكنها الأقل فهماً. ويمكننا أن نرى أن المحبة أساسية في تعليم الكتاب المقدس. فنحن مدعوون لنحب الرب، نحب بعضنا البعض، ونحب أعداءنا أيضاً. لكن في نفس الوقت، لدى معظم الناس فكرة سطحية حول كيفية تطبيق وصية الكتاب المقدس عن المحبة.

هل تتذكر كيف لخّص يسوع تعاليم العهد القديم؟ فقد قال إن الوصية العُظمى في الناموس موجودة في تثنية 6: 5، وتقول إنه علينا أن نحب الله. والوصية العظمى الثانية موجودة في لاويين 19: 18، وتطلب منا أن نحب قريبنا. بعد ذلك قال يسوع أن هاتين الوصيتين تلخّصان العهد القديم كله. استمع إلى كلمات متى 22: 37–40:

تُحِبُّ الرَّبَّ إِلَهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ. هَذِهِ هِيَ الْوَصِيَّةُ الأُولَى وَالْعُظْمَى. وَالثَّانِيَةُ مِثْلُهَا: تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ. بِهَاتَيْنِ الْوَصِيَّتَيْنِ يَتَعَلَّقُ النَّامُوسُ كُلُّهُ وَالأَنْبِيَاءُ. (متى 22: 37–40)

إن ما أراد يسوع الإشارة إليه، هو أن مئات الوصايا الأخرى في العهد القديم ليست أقل أهمية من هاتين الوصيتين. بل، إن هاتَين الوصيتَين هما الأعظم لأنهما يحتويان الوصايا الأخرى، ولأن الوصايا الأخرى تتعلق بهما. فهما يعبّران عن المبادئ العامة التي تفسّرها كل الشرائع الأخرى وتطبّقها. وقد علّم بولس المبدأ ذاته في رومية 13: 9 وغلاطية 5: 14.

في الواقع، إن المحبة أساسية جداً بالنسبة لكل الأعمال الصالحة، فإن لم تكن المحبة بين دوافعنا، فلا يمكن لأعمالنا أن تُحسب صالحةً أبداً.

لذلك، نعلم ضرورةَ أن نحب الله والقريب. لكن ما هو شكل هذه المحبة، وكيف يمكنها أن تحفزنا؟ في الواقع، حسب تعليم يسوع، إن الطريقة التي يمكننا من خلالها أن نحب الله وأقرباءنا هي العيش بحسب تعاليم الناموس والأنبياء، عندما تُفَسَّر بشكل صحيح وتُطبَّق على ظروفنا. طبعاً، لا يمكننا أن نفحص كل الطرق التي يساعدنا بواسطتها الناموس والأنبياء على فهم هذه المحبة. لذلك سنقدم تعريفاً يلخّص تعاليم الكتاب المقدس عن المحبة من خلال ثلاثة عناصر عامة.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

يمكننا تلخيص المحبة على أساس أنها تتألف من الإخلاص، العمل والعاطفة. تغطي هذه العناصر الثلاثة معظم تعاليم الكتاب المقدس عن المحبة، وهي تتداخل في عدة طرق. وإذا نظرنا إلى المحبة من منطلق كل عنصر، سوف نتعلم الكثير عن كيفَ يمكن للمحبة أن تدفعنا نحو الأعمال الصالحة.

وانسجاماً مع تعريفنا للمحبة، سوف نستعرض دافع المحبة بالتحدث عن: أولاً الإخلاص، ثانياً العمل، وثالثاً العاطفة. فلنبدأ بالمحبة كإخلاص يدفعنا للقيام بأعمال صالحة تجاه الله والقريب.

الإخلاص

سينقسم بحثنا في موضوع الإخلاص إلى ثلاثة أقسام. أولاً، سوف نتحدث عن الولاء الذي ندين به لله وللآخرين. ثانياً، سوف نستعرض توجه حياتنا. وثالثاً، سوف نشير إلى أهمية اكتشاف مسؤوليتنا. هذه هي بعض النواحي الرئيسية التي يتحدث الكتاب المقدس من خلالها عن الإخلاص والدوافع، والتي تعطينا أساساً جيداً لفهم الإخلاص ككل. دعونا نبدأ بالولاء كناحية أساسية في مسألة الإخلاص.

الولاء

يُعتبر الولاء حجر الزاوية بالنسبة لمفهوم المحبة من عدة نواحي. وكما رأينا في درس سابق، فإن العهد القديم يصوّر الله باستمرار كملك العهد على شعبه. فهو الملك الأعظم أو الإمبراطور الأعلى، وشعبه هم المملكة التابعة أو الخادمة. وكما هي الحال في أيّ مملكة، فإن مسؤولية الشعب الأساسية هي الولاء للملك. لكن ما علاقة ذلك بالمحبة؟

في الواقع، في الشرق الأدنى القديم – عالم العهد القديم – كان شائعاً أن توصف علاقة العهد بين الملك الأعظم والدولة التابعة، قياساً بالمحبة. وتم التعبير عن محبة الملك الأعظم في شكل الولاء لعهده مع شعبه. فقد أعطاهم الحماية، وحافظ لهم على العدالة، وسدّد لهم كل احتياجاتهم الأرضية. كانت هذه محبته لهم. وبالمقابل، كان مطلوباً من الشعب التابع الولاء له. كان عليهم أن يطيعوا شرائعه، يدعموه من خلال الضرائب والخدمات، وأن يكرموه كملكٍ عليهم. كانت هذه محبتهم

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

له. وبصورة مشابهة، كان على المواطنين أن يحبوا بعضهم البعض عن طريق التعامل مع جيرانهم كمواطنين متساوين، احترامهم والاعتناء بهم.

وانسجاماً مع مفهوم المحبة هذا، فقد استخدمت ممالك العهد في الشرق الأدنى القديم عدة استعارات لتصف العلاقة بين الملك الأعظم والتابعين له. وغالباً ما كان يوصف الملك الأعظم بالأب، والتابعين له بأولاده، كما في إشعياء 64: 8. وكانت هذه العلاقة تُوصف أيضاً بصيغة زوج وزوجة، كما هي الحال في إرميا 31: 32. وعند التفكير بعلاقتهم بالملك بهذه الكلمات، استطاع الشعب أن يفهم مشاعر الملك نحوهم، وواجباتهم نحوه. ولأن مواطني الملكوت جزء من عائلة واحدة، كان عليهم أن ينظروا إلى بعضهم البعض كإخوة وأخوات. وقد ساعد استخدام التعابير العائلية في هذه العلاقات السياسية الشعب لكي يدرك أن هذا الولاء المحب والإخلاص يجب أن ينبعا من القلب. يجب أن يكون الشعور الداخلي بالامتنان هو الدافع وراء إكرام الشعب لملكهم واحترامهم وطاعتهم له، بالإضافة إلى معاملة بعضهم بحنان واهتمام صادقَين.

ويمكننا أن نرى هذه الفكرة بصورة عملية في سفر التثنية 6، حيث استخدم موسى مفهوم المحبة ليشرح الولاء والإخلاص الذين كان على الإسرائيليين أن يقدموهما لله. قد يكون من المفيد أن نقتبس الأصحاح بكامله، لكن لأجل الوقت سنكتفي بإلقاء الضوء على بعض أقواله. استمعِ إلى كلمات تثنية 6: 1، 5:

وَهَذِهِ هِيَ الوَصَايَا والفَرَائِضُ وَالأَحْكَامُ التِي أَمَرَ الرَّبُّ إِلهُكُمْ أَنْ أُعَلِّمَكُم لِتَعْمَلُوهَا... ْفَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. (تثنية 6: 1، 5)

إن محبة الله، في هذا الإصحاح، موجزة في كلمات الطاعة لوصايا، فرائض، وأحكام الله. وتتبع هذه الخلاصة طرق محدّدة على شعب إسرائيل أن يعبّر من خلالها عن محبته لله. على سبيل المثال، يسلّط تثنية 6: 13–17 الضوء على الولاء والطاعة. استمع إلى ما كتبه موسى هناك:

الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقِي وَإِيَّاهُ تَعْبُدُ وَبِاسْمِهِ تَحْلِفُ. لا تَسِيرُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الأُمَمِ التِي حَوْلَكُمْ لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ إِلهٌ غَيُورٌ فِي وَسَطِكُمْ لِئَلا يَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

إِلهِكُمْ عَلَيْكُمْ فَيُبِيدَكُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ... احْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمْ وَشَهَادَاتِهِ وَفَرَائِضِهِ التِي أَوْصَاكُمْ بِهَا. (تثنية 6: 13–17)

إن كانت محبة الله لنا مثل محبة الأب العادي لأولاده، لما سمعنا عن استعداده ليهلكنا إن أخفقنا في اتباعه. لكن الحقيقة هي أن محبة الله الأبوية محبة ملك لشعبه. وصورة الأبوّة تساعدنا، لأنها تبرز الطرق التي يحمينا الله من خلالها، يسد احتياجاتنا، ويهتم بنا. لكن تبقى الأبوّة مجرد صورة مجازية. وخلف هذه الصورة تكمن حقيقة أن الله ملكنا. فهو حقاً يسود علينا. وهو السيد المطلق حقاً. نحن في الواقع مرتبطون به بالعهد. لذلك فإن الطريقة الأبسط والأهم التي يمكننا من خلالها أن نظهر محبتنا له هي عن طريق ولائنا الصادق للعهد.

ويؤكد العهد الجديد هذه الفكرة بطرق عدة. فعلى سبيل المثال، يسوع هو ربنا وملكنا، وعلينا أن نقدم له المحبة من خلال الطاعة الوفية، بالإضافة إلى ولائنا للكنيسة. فلا يمكننا الابتعاد عنه أو رفضه. ولا يمكننا وَضعُ أيُّ ولاءٍ فوق ولائنا له. لا يمكننا رفض الالتزامات التي يطلبها منا. كما لا يمكننا التخلي عن الشعب الذي يحبه، أو معاملته بسوء. وإظهار عدم الوفاء هكذا يعني أننا نكرهه، ونعرّض أنفسنا لدينونته. لكن إن ثبتنا في محبتنا له، فإنه سيكافئنا في ملكوته. انظر إلى رؤيا 1: 4–6، حيث قدّم يوحنا كتابه بهذه الطريقة:

نِعْمَةٌ لَكُمْ وَسَلاَمٌ مِنَ... يَسُوعَ الْمَسِيحِ ... رَئِيسِ مُلُوكِ الأَرْضِ. الَّذِي أَحَبَّنَا، وَقَدْ غَسَّلَنَا مِنْ خَطَايَانَا بِدَمِهِ، وَجَعَلَنَا مُلُوكاً وَكَهَنَةً لِلَّهِ أَبِيهِ، لَهُ الْمَجْدُ وَالسُّلْطَانُ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ. آمين. (رؤيا 1: 4–6)

وكما صرّح يسوع في يوحنا 14: 15:

إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَنِي فَاحْفَظُوا وَصَايَايَ. (يوحنا 14: 15)

يشكّل الولاء، في علاقة الله معنا من خلال العهد، فضيلةً حسنة، فهو يدفعنا لخدمة ربنا وملكنا، ولتكريم والعناية بأولئك الذين يعيشون معنا تحت حكمه. ومن جهة أخرى، نحن مطالبون برفض كل اتفاق مع الآلهة الأخرى أو الأصنام في حياتنا.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

انطلاقاً من هذا المفهوم للولاء في فكرنا، نحن مستعدين أن نتحدث عن الطريقة التي تتطلب محبتنا لله منا أن نتبنى توجهاً جديداً في الحياة.

التوجه

إن الإخلاص الذي ندين به لله يشمل كل جانب في حياتنا. فلا يحصل شيء في الحياة خارج إطار ملكوته، أو بعيداً عن سيادته المطلقة. لهذا السبب، لابد أن نكيّف حياتنا كلها حوله. ويجب أن يكون الله وملكوته من أهم أولوياتنا، محور رغباتنا، وأساس نظرتنا إلى العالم. يجب أن نكون مدفوعين من أعماقنا لنعمل من أجل مصلحة الله وشعبه، في كل ما نفكر فيه، نقوله، أو نفعله.

كما رأينا في تثنية 6: 5، تلخص الوصية الأولى العظمى، الانسان البشري في عبارات القلب، النفس والقوة. وليس المقصود بهذه التعابير أن تمثّل أجزاء مختلفة من كياننا، كما لو أننا مقسمين إلى ثلاثة أو أربعة أجزاء مختلفة. بل، يتحدث كل جزء عن الشخص بكامله. ففي اللغة العبرية، قلبنا ليس عواطفنا فقط، بل مركز كياننا بأكمله، بما في ذلك فكرنا، ضميرنا، وكل ناحية من شخصيتنا. كما تشير نفسنا الى الذات بأكملها، بما في ذلك فكرنا الواعي ورغباتنا الباطنية. ولا تشير كلمة "قوة" في تثنية إلى أجسادنا أو أعمالنا بقدر ما تشير الى مقدار محبتنا لله، وتصميمنا على استخدام كل طاقاتنا في سعينا وراء تلك المحبة. لذا، يشجّعنا الكتاب المقدس، من خلال كلً من هذه التعابير، لنكون مكرسين لله بكل كياننا.

وبربط وصية محبة القريب بهذه الوصية العظيمة، أراد يسوع أن يشير إلى ضرورة أن يكون لنا نوع المحبة ذاته نحو الآخرين، ولا سيما إخوتنا من مواطني الملكوت. يجب أن يشكل هذان الالتزامان، بالله وبشعبه، توجهنا الرئيسي في الحياة. ويجب أن يكونا أهم الالتزامات الأساسية لمشاعرنا الداخلية.

بالطبع، يسوع هو المثل الأعلى للتوجه الصحيح في الحياة. وجّه يسوع حياته بكاملها حول الله، وحول الشعب الذي أتى لإنقاذه. فقد دفعه هذا التوجه لإطاعة الله بصورة كاملة في كل شيء، وليضحّي بذاته طوعاًً من أجل الشعب الذي أحبه. ويجب أن يقودنا ولاؤنا لله ولأقربائنا ليكون لدينا التوجه ذاته في حياتنا. ويجب أن يدفعنا لتقديم نفس التضحيات التي قام بها يسوع. كما نقرأ في رسالة يوحنا الأولى 3: 16:

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ. (1 يوحنا 3: 16)

عندما نجعل الله محور حياتنا، فإن ذلك يؤثر على كل قراراتنا– من أفكارنا العابرة، إلى الطريقة التي نعامل فيها الناس، إلى الشخص الذي نختار أن نتزوجه. عندما نفشل في توجيه حياتنا حول الله، فإننا نركز حياتنا حول أولويات أخرى، مثل المال، القوة، النفوذ، الأعمال الترفيهية، أو الاشخاص الموهوبين. وتؤثر هذه التوجهات على سلوكنا أيضاً– وهي تقوم بذلك بطريقة تدعم برنامجاً مختلفاً عن الذي أوصى به الله في كلمته. لكن عندما نوجّه حياتنا حول الله وشعبه، فإننا نتبع برنامج ملكوته، ونكون مدفوعين للعيش بطرق ترضيه.

بعد أن بحثنا في مسائل الولاء والتوجه، أصبحنا جاهزين للبحث في الطريقة التي يجب على محبتنا لله والقريب أن تدفعنا لنكتشف مسؤوليتنا أمام الرب في كل ناحية من نواحي حياتنا.

المسئولية

المحبة هي توجه الطاعة والخدمة نحو الله. لذلك يجب أن تعدّنا لنحفظ كل وصايا الله. لكن كيف يمكننا القيام بذلك؟ هل يتم ذلك بمجرد إحصاء كل قوانين ومتطلبات الناموس، ثم تطبيق ما تطلبه بوضوح؟ أو علينا أن نخدم الرب بطرق تتجاوز الأمثلة المحدّدة المذكورة في الكتاب المقدس؟ في الواقع، إن الإجابة على هذه الاسئلة هي: لابد أن يشكّل ولاؤنا المحب لله الدافع لكي نبحث عن طرقٍ إضافيةٍ نكون فيها مسؤولين أمامه.

وحتى نشرح ما نعنيه، دعونا نتمعن في الوصايا العشر. كما هي مذكورة في خروج 20: 3–17:

لا يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي.
لا تَصْنَعْ لَكَ تِمْثَالاً.
لا تَنْطِقْ بِاسْمِ الرَّبِّ إِلَهِكَ بَاطِلاً.
اذْكُرْ يَوْمَ السَّبْتِ لِتُقَدِّسَهُ.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

أَكْرِمْ أَبَاكَ وَأُمَّكَ.
لا تَقْتُلْ.
لا تَزْنِ.
لا تَسْرِقْ.
لا تَشْهَدْ عَلَى قَرِيبِكَ شَهَادَةَ زُورٍ.
لا تَشْتَهِ.

إن ثمانٍ من هذه الوصايا تمنع تصرفات محددّة، ولا تشير بشكل واضح إلى أي شيء علينا القيام به بالفعل. وإن تخيّلنا أن كل واجباتنا مذكورةٌ بوضوح في الكتاب المقدس، فسوف نستنتج أن هناك أمرين فقط علينا القيام بهما فعلياً: حفظ السبت، وإكرام والدينا. ويمكننا الاستنتاج أيضاً أن الوصية ضد القتل تحرّم القتل، لكنها لا تمنع الغضب غير المقدس. لكن هذا الاستنتاج خاطئ. فالحقيقة هي أن الكتاب المقدس يطبّق هذه الوصايا على كل ناحية من نواحي حياتنا بشكل مستمر. وكمثال على ذلك، استمع إلى متى 5: 21 –22، حيث قدّم يسوع التعليم التالي:

قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ لاَ تَقْتُلْ. وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلاً يكون مُستوجِب الحكم. (متى 5: 21–22)

أشار يسوع هنا إلى ما قد قيل للشعب، أي ما تعلموه من بعض مفسّري الأسفار المقدّسة اليهود.

إذا توقفنا عن السعي وراء مسؤولياتنا أمام الله، فمن السهل أن ينمو لدينا الفكر أن كلمة الله تتعلقُ بجزءٍ صغيرٍ من حياتنا فقط، وأن الإخلاص الذي نَدين به لله محدودٌ جدا. وقد نقع في خطأِ التفكير أنه بسب اختلاف ظروفنا عن تلك المذكورة في الكتاب المقدس، فإن ما يطلبه الله لا ينطبق علينا. وهذا يجعلنا متجاهلين لمسؤولياتنا، بحيث نعجز عن حفظ نفوسنا من الخطية.

لكن عندما نسعى لتحمل مسؤولياتنا أمام الله بشكلٍ صحيح، مدركين أننا مُلزمين تجاهه في كل جانب من حياتنا، نصبح في موقع أفضل لنصنع القرارات التي ترضي الله. فمحبتنا لله يجب أن

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

تجعلنا غير مكتفين بمعرفة محدودة لمتطلبات الله ولحاجات أقربائنا. بل يجب أن تدفعنا لنكتشف كل مسؤولياتنا تجاه ملكنا العظيم وشعبه، حتى نقوم بواجبنا بأفضل طريقة ممكنة.

بعد أن تكلمنا عن الإخلاص، يجب أن ننتقل إلى موضوع العمل، الذي يصف كيف يجب أن نتصرف نحو الله ونحو بعضنا البعض.

العمل

سينقسم بحثنا حول العمل إلى قسمَين. سنتحدث بالتحديد عن الطرق التي تشكّل فيها أعمال الله مثالاً لسلوكنا الشخصي. فمن ناحية سنبحث في أعمال النعمة الفدائية. ومن ناحية أخرى، سوف نبحث في أعمال النعمة العامة. فلنبدأ بالطريقة التي تشكّل فيها النعمة الفدائية مثالاً لأعمالنا.

النعمة الفدائية

كما سبق وقلنا خلال هذه السلسلة، فإن شخص الله هو معيارنا السلوكي النهائي. ولأن الله يتصرف وفقاً لطبيعته باستمرار، فإن كل أعماله هي تعبيرٌ كاملٌ عن شخصه. لهذا السبب يحثنا الكتاب المقدس أن نكيّف شخصيتنا وتصرفاتنا مع شخص الله وأعماله، خاصةً فيما يتعلق بإنقاذه وفدائه للذين يحبهم. على سبيل المثال، في تثنية 5: 13–15 طلب الرب من شعب إسرائيل بأكمله أن يحفظوا السبت. السادة، العبيد، النزلاء في الأبواب، أي المسافرين، وحتى الحيوانات أُعطوا يوم عطلة، ليشابه الراحة التي أعطاها الله للأمة بأكملها، عندما فداهم من العبودية في مصر.

كذلك، في متى 18: 23–35، علّم يسوع أنه علينا أن نقتدي بغفران الله. علينا أن نغفر للذين يخطئون إلينا لأن الله غفر خطايانا تجاهه. وكغفران الله لنا يجب إن يكون غفراننا للآخرين حقيقياً، نابعاً من القلب، ومدفوعاً بعاطفة حقيقية منهم.

وبصورة عامة، يعلمنا الكتاب المقدس أنه علينا أن نحب بعضنا بعضاً كما أحبنا الله. وبالطبع، المثال الأعظم على هذه المحبة، هو المسيح الذي مات عن خطايانا. استمع إلى تعليم يوحنا في رسالة يوحنا الأولى 4: 9–11:

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

بِهَذَا أُظْهِرَتْ مَحَبَّةُ اللهِ فِينَا: أَنَّ اللهَ قَدْ أَرْسَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ إِلَى الْعَالَمِ لِكَيْ نَحْيَا بِهِ. فِي هَذَا هِيَ الْمَحَبَّةُ: لَيْسَ أَنَّنَا نَحْنُ أَحْبَبْنَا اللهَ، بَلْ أَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا، وَأَرْسَلَ ابْنَهُ كَفَّارَةً لِخَطَايَانَا. أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، إِنْ كَانَ اللهُ قَدْ أَحَبَّنَا هَكَذَا، يَنْبَغِي لَنَا أَيْضاً أَنْ يُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضاً. (1 يوحنا 4: 9-11)

كخطأة، كنا عدوانيين تجاه الله، وكرهناه. كنا بمثابة أعداء له. وكنا نستحق القصاص، لا الرحمة. وبرغم ذلك، كان الله مستعداً للتضحية بابنه الذي أحبه أكثر من أي شيء آخر، لكي يخلّصنا. وتماشياً مع مثاله، يجب أن نكون مستعدين أن نتألم من أجل الآخرين.

بالطبع، لا يمكننا أن نقدّم ذبيحة فدائية بالنيابة عن شخصٍ آخر – والكتاب المقدس لا يطلب منا ذلك. لكنه يطلب منا أن نظهر للآخرين نفس المحبة التي أظهرها الله لنا في الفداء. نحن نقوم بهذه التضحيات لأولادنا بشكل طوعي لأننا نعطي قيمةً لحياتهم أكثر من حياتنا. والله يطلب منا أن نقتدي بنعمته بإعطاء القيمة ذاتها لأولاده. وكما كتب يوحنا في رسالة يوحنا الأولى 3: 16-18:

بِهَذَا قَدْ عَرَفْنَا الْمَحَبَّةَ: أَنَّ ذَاكَ وَضَعَ نَفْسَهُ لأَجْلِنَا، فَنَحْنُ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَضَعَ نُفُوسَنَا لأَجْلِ الإِخْوَةِ. وَأَمَّا مَنْ كَانَ لَهُ مَعِيشَةُ الْعَالَمِ، وَنَظَرَ أَخَاهُ مُحْتَاجاً، وَأَغْلَقَ أَحْشَاءَهُ عَنْهُ، فَكَيْفَ تَثْبُتُ مَحَبَّةُ اللهِ فِيهِ؟ يَا أَوْلاَدِي، لاَ نُحِبَّ بِالْكَلاَمِ وَلاَ بِاللِّسَانِ، بَلْ بِالْعَمَلِ وَالْحَقِّ! (1 يوحنا 3: 16-18)

عندما نفشل في الاقتداء بنعمة الله الفدائية، يسهل علينا أن نعتبر أن ما نسميه "محبة" مجرد خدمة شفاه. على سبيل المثال، من السهل علينا أن نعتبر أن الفقير مستحقاً لفقره، أو أن الاهتمام به هو مسؤولية شخص آخر. كما أنه من السهل علينا أن نضع مصالحنا الخاصة فوق مصالح الآخرين، وأن نفضّل راحتنا ورفاهيتنا على الجهد الشاق الذي تتطلب مساعدة الآخرين.

لكن مثال نعمة الله يرغمنا أن نتنازل عن مالنا وممتلكاتنا، وحتى حياتنا، لكي نحمي ونعتني بإخوتنا وأخواتنا في المسيح. إنها تعلمنا أن نحبهم من كل قلوبنا، بحيث نندفع للتضحية، التألم، وحتى الموت من أجلهم.

انطلاقاً من هذا المفهوم لنعمة الله الفدائية، نحن مستعدين أن نتحدث عن الطريقة التي تقدّم لنا من خلالها نعمته العامة مثالاً لنتبعه.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

النعمة العامة

النعمة العامة هي تعبير تقني في اللاهوت، يشير إلى لطف الله نحو أولئك الذين لن ينالوا الخلاص أبداً. فبالنسبة لمن سينال الخلاص منا بشكل مطلق، فإن نعمة الله تعمل دائماً نحو الفداء. لكن الله يبسط لطفه اللافدائي أو "نعمته العامة" إلى أولئك الذين لن ينالوا الخلاص أبداً.

أشار يسوع في العظة على الجبل، إلى نعمة الله العامة كتعبير عن محبته للبشرية بأكملها. وبالرغم من أن محبة الله العامة للبشر ليست بعظمة محبته للمؤمنين، إلا أنها حقيقية وصادقة، وتُقدم لنا مثالاً ينبغي أن نتبعه. قدّم يسوع، في متى 5: 44-48، التعليم التالي عن النعمة العامة:

أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ... وَصَلُّوا لأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ. لِكَيْ تَكُونُوا أَبْنَاءَ أَبِيكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ فَإِنَّهُ يُشْرِقُ شَمْسَهُ عَلَى الأَشْرَارِ وَالصَّالِحِينَ وَيُمْطِرُ عَلَى الأَبْرَارِ وَالظَّالِمِين. فكونوا أنتم كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ. (متى 5: 44-48)

وكما علّم يسوع، فإن كمال الله يتضمن محبته للأشرار، حتى لأولئك الذين لن يؤمنوا بالمسيح. ويعبّر الله عن هذه المحبة بعدة طرق، مثل الشمس والمطر. فالله لطيف مع جميع الناس، مقدّماً لهم الاستقرار والإثمار في الطبيعة، وسامحاً لهم بالازدهار في هذه الحياة. هذا لا يعني أن الله لطيف دائماً، فهو يدين الأشرار أحياناً. لكنه، بصورة عامة، يُظهر طول الأناة والكرم، حتى لأعدائه.

ولأننا نحب الله، يجب أن نُحب الشعب الذي يحبه الله أيضاً. وتماشياً مع مثال الله، يجب أن تدفعنا محبتنا لنكون صالحين ولطفاء مع جميع الناس، حتى لو كرهونا واضطهدونا.

على سبيل المثال، يتطلب منا ناموس الله، في خروج 23: 4-5، أن نحافظ على ممتلكات أعدائنا. استمع إلى ما يقول:

اذَا صَادَفْتَ ثَوْرَ عَدُوِّكَ اوْ حِمَارَهُ شَارِدا تَرُدُّهُ الَيْهِ. اذَا رَايْتَ حِمَارَ مُبْغِضِكَ وَاقِعا تَحْتَ حِمْلِهِ وَعَدَلْتَ عَنْ حَلِّهِ فَلا بُدَّ انْ تَحِلَّ مَعَهُ. (خروج 23: 4-5)

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

تظهر هذه التعليمات في إطار الحديث عن العدالة. والمقصود هنا، تحقيق العدالة لجميع الناس، حتى إن كانوا يكرهوننا.

لم يعلّمنا يسوع أن نحقق العدالة لأعدائنا فقط؛ بل علّمنا أن نحبهم. يجب أن نحقق العدالة لهم لأننا نريدهم أن ينالوا بركات وحماية العدالة، ولأننا نحب الله الذي هو مقياس العدالة.

ومن السهل ألا يكون لدينا هذا النوع من المحبة لأعدائنا. ففي أحسن الأحوال، نحن نفضّل أن نتجاهل احتياجاتهم. وفي أسوأ الأحوال، نندفع لكي ننتقم منهم، ونفرح عندما يعانون من الظلم. لكن هذه المواقف ليست المواقف التي يتّصف بها الله؛ وليست الدوافع التي رسمها الله لنا. عندما نقوم بهذه الأعمال، فإننا نفكر بطريقة أنانية، ساعين لإرضاء أنفسنا. إننا نتبع مثال العالم الخاطئ والشيطان، وليس رب الرحمة والبر.

فكر بخلاف حصل بينك وبين شخص تحبه. قد يكون أباً، أماً، ابنا، ابنة، زوجاً، زوجةً أو صديقاً حميماً. وقد تولّد هذه الخلافات الغضب والشعور بالأذى. لكن في معظم الأحيان، لا يسود غضبنا على محبتنا لأولئك الأشخاص. فحتى في غضبنا، نبقى مُخلصين لهم. ونحبهم، ونرفض السماح أن يُعامَلوا بظلم.

في الواقع هذا ما يريدنا الله أن نشعر به تجاه أعدائنا إلى حد بعيد. ينبغي أن يكون لدينا اهتمام حقيقي بصالحهم. ويجب أن يظهر هذا الاهتمام بصورة عملية. بحيث يدفعنا لكي نكون لطفاء معهم، نصلي من أجلهم، نحميهم، ونلبي احتياجاتهم عندما يكونوا في عوز.

الآن يجب أن نقدّم على الأقل صفة واحدة للطريقة التي نتمثل فيها بنعمة الله العامة. بالتحديد، يجب أن نذكر أن هذا النوع من المحبة لا يمنع الرغبة بالعدالة. فالله أحياناً يحجب لطفه لكي يُنزل حكمه على الشرير. وأحكام الله صالحة وصحيحة دائماً. علاوة على ذلك، يعلّم الكتاب المقدس أن العدالة هي جانب هام للمحبة. كما نقرأ في مزمور 33: 5:

يُحِبُّ الْبِرَّ وَالْعَدْلَ. امْتَلأَتِ الأَرْضُ مِنْ رَحْمَةِ الرَّبِّ. (مزمور 33: 5)

لا تتعارض الرغبة بالعدالة تجاه أولئك الذين أساءوا إلينا مع (الرحمة). في الواقع، عندما نتبع خطى نعمة الله العامة، فإن رغبتنا بتحقيق العدالة، محبتنا لله، محبتنا للقريب، ومحبتنا لأعدائنا، تكون متشابهة إلى حد بعيد. والسبب هو: أن الله العادل، غالباً ما يستخدم دينونته كطريقة تأديبية

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

ليقود الخطاة إلى التوبة والخلاص. على سبيل المثال، في زكريا 14: 16، تقود دينونة الله على الأمم إلى التوبة:

وَيَكُونُ أَنَّ كُلَّ الْبَاقِي مِنْ جَمِيعِ الأُمَمِ الَّذِينَ جَاءُوا عَلَى أُورُشَلِيمَ يَصْعَدُونَ مِنْ سَنَةٍ إِلَى سَنَةٍ لِيَسْجُدُوا لِلْمَلِكِ رَبِّ الْجُنُودِ. (زكريا 14: 16)

حتى عندما نرغب بعدالة الله، فإن دافعنا النهائي يجب أن يكون المحبة. يجب أن نأمل أن عدالة الله ستؤدي إلى التوبة التي تقود إلى الحياة.

إن محبة الله معقّدة، إن بسّطناها أكثر من اللازم، قد نستنتج خطأً أنه لا يمكننا أن نحب قريبنا ونطلب تحقيق العدالة تجاه الأشرار في الوقت ذاته؛ أو لا يمكننا أن نحبهم وفي نفس الوقت أن نكره الشر الذي نراه في العالم. لكن الكتاب المقدس يعلّم أن محبة الله تتضمن النية في تحقيق العدالة والكراهية للشر. إذاً، الحل بالنسبة لنا كمسيحيين هو أن نتأكد أن نوايانا في تحقيق العدالة وكراهيتنا للشر هما موازيان لمحبتنا لكل البشرية. عندما تنفصل هذه المشاعر عن المحبة، تصبح خاطئة. لكن عندما تكون تعبيرات عن المحبة، فهي مستقيمة، وتدفعنا إلى التفكير، التحدث والتصرف بطرق ترضي الله.

بعد أن تحدثنا عن الإخلاص والعمل، أصبحنا مستعدين للانتقال إلى العاطفة، والتي هي الناحية العاطفية الأوضح من المحبة.

العاطفة

يتكلم المعلمون المسيحيون أحياناً عن المحبة الكتابية كما لو أنها تتألف من أفعال وأفكار. فعلى سبيل المثال، يجادل البعض أن الكتاب المقدس يشجّعنا على المحبة بطرق عملية، بغض النظر عما نشعر به عاطفياً. فهم يقولون إن محبتنا لله تتألف من الطاعة الخارجية لوصاياه، كالقيام بأمور مثل الذهاب إلى الكنيسة، تلاوة صلواتنا، قراءة الكتاب المقدس، وصرف وقت في خلوتنا. بينما تتألف محبة القريب من أن: نضبط غضبنا، نكون مهذبين، نتجنب الكبرياء، وما إلى ذلك. لكن الكتاب المقدس يعطينا نظرة مختلفة تماماً عن هذه المسألة. دعونا نسترجع كلمات رسالة كورنثوس الأولى 13: 1–3:

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَقَدْ صِرْتُ نُحَاساً يَطِنُّ أَوْ صَنْجاً يَرِنُّ. وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلَسْتُ شَيْئاً. وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ وَلَكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئاً. (1 كورنثوس 13: 1–3)

إن الأعمال الصالحة التي يصفها بولس هنا، هي صالحة أخلاقياً عندما تتم بدافع العاطفة القلبية. لكن إن لم تكن العاطفة وراءها، فلا قيمة لها. بدون محبة، تصبح موهبة التكلم بألسنة صنجاً يرن. والشخص الذي عنده نبوة، علم وإيمان كما لو أنه ليس شيئاً. والشخص الذي يعطي كل ممتلكاته حتى حياته لا ينتفع شيئاً. المحبة هي بعد عاطفي أساسي لكل عمل نقوم به. وبدونها، لا يمكن لأي شيء نقوم به أن يكون جيداً. انظر أيضاً متى 15: 7–9، حيث أعطى يسوع هذا الانتقاد اللاذع:

يَا مُرَاؤُونَ! حَسَناً تَنَبَّأَ عَنْكُمْ إِشَعْيَاءُ قَائِلاً: يَقْتَرِبُ إِلَيَّ هَذَا الشَّعْبُ بِفَمِهِ وَيُكْرِمُنِي بِشَفَتَيْهِ وَأَمَّا قَلْبُهُ فَمُبْتَعِدٌ عَنِّي بَعِيداً. وبَاطِلاً يَعْبُدُونَنِي. (متى 15: 7–9)

نقطة يسوع بسيطة: إن إكرام الله وعبادته بدون عاطفة هو رياء. سواء كانت أعمالنا موجهّة نحو الآخرين أو نحو الله، يجب أن تكون مدفوعة بشعور عاطفي حقيقي.

يوجد الكثير من العواطف أو المشاعر المختلفة التي يمكن أن نناقشها كجوانب للمحبة التي تشكل دافعاً للأعمال الصالحة، لكن الوقت سيسمح لنا بذكر إثنين فقط. أولاً، سوف نتحدث عن الامتنان لله. وثانياً، سوف ندرس الخوف من الله. فلنبدأ بالطريقة التي يدفعنا الامتنان فيها لإرضاء الله والاهتمام بأقربائنا.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

الامتنان

بالنسبة للكتاب المقدس، يجب أن يكون الامتنان ردّ فعلنا الطبيعي لنعمة الله ولطفه، وأن يدفعنا لإطاعة الله. على سبيل المثال، تبدأ الوصايا العشر بإعلان عن لطف الله. ويجب أن يجعلنا هذا اللطف شاكرين، بحيث نرغب في طاعة الوصايا التالية. استمع إلى الطريقة التي يبدأ بها خروج 20: 2 الوصايا العشر:

أَنَا الرَّبُّ الَهُكَ الَّذِي اخْرَجَكَ مِنْ ارْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. (خروج 20: 2)

كان خروج إسرائيل من مصر، في الوقت الذي أعطى فيه الله الوصايا العشر، أعظم حدث فداء على الإطلاق. كان حَدَث العهد القديم الموازي لذبيحة المسيح في العهد الجديد – وهو الحدث الذي أشار إليه كتّاب الأسفار باستمرار لحث قرائهم على الامتنان.

نجد الوصايا العشر ذاتها، مباشرةً بعد هذه المقدمة للوصايا العشر في خروج 20، وكما بيّن الكثير من المفسّرين عبر العصور، تنقسم هذه الوصايا إلى مجموعتين: أولاً، نواميس تلخّص ما معنى أن نحب الله؛ وثانياً، نواميس تلخّص ما معنى أن نحب قريبنا.

لذلك، نجد في الوصايا العشر، أن الامتنان القلبي لله يجب أن يكون الدافع الذي يحثنا على الإخلاص، العمل، والعاطفة، تجاه الله كملكنا، وتجاه إخوتنا البشر كمخلوقاته المحبوبة وأولاده.

ويعلّم العهد الجديد المبدأ ذاته. فكما قلنا، إنه يميل للاستشهاد بذبيحة المسيح كأساس لامتناننا، لكن الفكرة هي ذاتها: إن لطف الله مستحقٌ لمحبتنا وطاعتنا. وكما صرّح يوحنا في رسالة يوحنا الأولى 4: 19:

نَحْنُ نُحِبُّهُ لأَنَّهُ هُوَ أَحَبَّنَا أَوَّلاً. (1 يوحنا 4: 19)

وكما كتب بولس في كولوسي 3: 17:

وَكُلُّ مَا عَمِلْتُمْ بِقَوْلٍ اوْ فِعْلٍ، فَاعْمَلُوا الْكُلَّ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ، شَاكِرِينَ اللهَ وَالآبَ بِهِ. (كولوسي 3: 17)

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

إن شكرنا على هدية ابنه يجب أن يدفعنا إلى محبة ربنا، وإلى التعبير عن هذه المحبة من خلال الأعمال الصالحة، التي نقوم بها باسمه ولمجده.

ليس من الصعب أن نفهم كيف يعمل الامتنان كدافع. فلدى معظمنا عدة أسباب ليكون ممتناً. فقد نشعر بالامتنان لوالدَينا على الطريقة التي أظهرا فيها اهتمامهما بنا، أو لمعلم معيّن على الطريقة التي علّمنا فيها. كما أننا نشعر بالامتنان عندما ينقذنا شخص من الخطر أو الضيق. وفي كل هذه الحالات، غالباً ما يكون ردّ فعلنا بشكر الناس الذين ساعدونا، وحتى مجازاتهم بطريقة ما.

ومن جهة أخرى، من السهل أن نفكر بأشخاصٍ في حياتنا لم يكونوا شاكرين، أشخاصاً لم يقدّروا الأشياء الجيدة التي فعلها الآخرون من أجلهم. فعندما نشعر بعدم الامتنان، لا يكون لدينا رغبة بإرضاء الذين ساعدونا. بدلاً من ذلك نميل إلى قبول عونهم كما لو أنه أجرُنا العادل، ونستاء منهم إن لم يفعلوا ما نتوقع منهم فعله. وبدلاً من حثنا على محبتهم، فإن عدم الامتنان يميل إلى جعلنا نحتقر الآخرين.

من الواضح أن امتناننا لله، كمسيحيين، يجب أن يدفعنا لكي نطيعه، ونساعد أولئك الذين يحبهم. لا يمكننا أن ندفع لله ثمن هدية المسيح أبداً، لذلك فإن الأعمال الصالحة التي نقوم بها ليست نوعاً من التعويض له. إنها ببساطة استجابات محبة من قبل أولئك الذين يقدّرون ما فعله الله من أجلهم. ولا يمكن لأولئك الذين يشعرون بالامتنان الحقيقي لما فعله الله من أجلهم، أن يعبّروا عن هذا الامتنان بالسجود لآلهة مزيفّة، النطق باسمه باطلاً، أو القيام بأي شيءٍ لا يرضيه. لقد قبلنا أعظم هدية يمكن تصوّرها. فكيف لا نقدم ذواتنا من كل قلوبنا لرب عهدنا؟

بعد أن رأينا كيف يجب أن يدفعنا الامتنان نحو الأعمال الصالحة، يمكننا الآن أن نتطرق الى موضوع الخوف من الله، والذي هو جزء من محبتنا له، والذي يشكل دافعاً للأعمال الصالحة.

الخوف

لا يتكلم المسيحيون، في الكنيسة العصرية، عادةً عن الخوف من الله. ولعل السبب أنه كثيراً ما يُساء فهم هذا الموضوع. عندما يفكر المسيحيون اليوم في موضوع الخوف، فهم غالباً ما يربطونه بالرعب والفزع. فنحن نخاف من الأمور التي يمكن أن تؤذينا، أموراً تضمر لنا الشر. وبدون شك، كثيراً ما يستخدم الكتاب المقدس كلمة "خوف" بهذه الطريقة. لكن ليس لهذا النوع من الخوف من الله مكاناً في حياة المؤمن. كما كتب الرسول يوحنا في رسالة يوحنا الأولى 4: 17-18:

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

بِهَذَا تَكَمَّلَتِ الْمَحَبَّةُ فِينَا: أَنْ يَكُونَ لَنَا ثِقَةٌ فِي يَوْمِ الدِّينِ، لأَنَّهُ كَمَا هُوَ فِي هَذَا الْعَالَمِ هَكَذَا نَحْنُ أَيْضاً. لاَ خَوْفَ فِي الْمَحَبَّةِ، بَلِ الْمَحَبَّةُ الْكَامِلَةُ تَطْرَحُ الْخَوْفَ إِلَى خَارِجٍ لأَنَّ الْخَوْفَ لَهُ عَذَابٌ. وَأَمَّا مَنْ خَافَ فَلَمْ يَتَكَمَّلْ فِي الْمَحَبَّةِ. (1 يوحنا 4: 17-18)

تكمّلت المحبة في المسيحيين، وهذه المحبة الكاملة تطرح الخوف الى الخارج لأن الله لن يؤذينا أبداً. لذلك، لا يقصد الكتاب المقدس هذا النوع من الخوف عندما يتحدث عن الخوف من الله بطريقة إيجابية. وصف موسى نوع الخوف الذي نفكر فيه، في تثنية 10: 12-13. استمعوا إلى ما كتبه هناك.

فَالآنَ يَا إِسْرَائِيلُ مَاذَا يَطْلُبُ مِنْكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلا أَنْ تَتَّقِيَ الرَّبَّ إِلهَكَ لِتَسْلُكَ فِي كُلِّ طُرُقِهِ وَتُحِبَّهُ وَتَعْبُدَ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَتَحْفَظَ وَصَايَا الرَّبِّ وَفَرَائِضَهُ التِي أَنَا أُوصِيكَ بِهَا اليَوْمَ لِخَيْرِكَ. (تثنية 10: 12-13)

وعلى الرغم من وجود فروقات بسيطة في الفرائض التي ذكرها موسى هنا، فإن جميعها متشابهة في الجوهر. التقوى، السلوك، المحبة، العبادة، الحفظ – كلها تشير إلى تقديم طاعة فعلية ووفية لله ولوصاياه. ومن أجل تبسيط هذا الموضوع، يمكننا أن نعرّف الخوف من الله ك:

رهبة، مهابة، واحترام لله تنتج التبجيل، المحبة، والعبادة لله.

ويميز هذا النوع من الخوف كل مؤمن حقيقي في المسيح الى حد ما. على سبيل المثال، نقرأ هذا التشجيع في إشعياء 33: 5-6:

تعالى الرَّبُّ... فيكونُ أَمَانُ أَوْقَاتِكَ وَفْرَةَ خَلاَصٍ وَحِكْمَةٍ وَمَعْرِفَةٍ. مَخَافَةُ الرَّبِّ هِيَ كَنْزُهُ. (إشعياء 33: 5-6)

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

لاحظ أن الخوف المهيب ليس مصدر رعب، بل إنه مرتبط بالثقة بالله كملجأٍ وخلاصٍ أكيدَين. في إشعياء 11: 2–3، نجد أن هذا الخوف هو صفة المسيا. أستمع الى كلمات النبي:

وَيَحِلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ رُوحُ الْمَشُورَةِ وَالْقُوَّةِ رُوحُ الْمَعْرِفَةِ وَمَخَافَةِ الرَّبِّ. وَلَذَّتُهُ تَكُونُ فِي مَخَافَةِ الرَّبِّ. (إشعياء 11: 2–3)

ليس الخوف المهيب ردَّ فعلٍ جبان يشعر بالتهديد من الله. بل على العكس، إنه ابتهاج.

بالإضافة إلى ذلك، كما نقرأ في أعمال الرسل 9: 31، فإن الخوف ذاته يميّز الكنيسة الأولى. استمع الى ذلك العدد:

وَأَمَّا الْكَنَائِسُ... فَكَانَ لَهَا سَلاَمٌ وَكَانَتْ تُبْنَى وَتَسِيرُ فِي خَوْفِ الرَّبِّ وَبِتَعْزِيَةِ الرُّوحِ الْقُدُسِ كَانَتْ تَتَكَاثَرُ. (أعمال الرسل 9: 31)

مرةً أخرى، يرتبط الخوف بمشاعر مثل السلام، والبنيان، والتعزية، وليس بالرعب والذعر.

إن الخوف المهيب من الله هو الشعور بالعيش في حضوره الدائم. إنه إدراكٌ لشخص الله وجوهره، وما يطلبه منا. وهكذا، فإنه مظهرٌ من مظاهر المحبة ودافع للقيام بالأعمال الصالحة أيضاً. إنه مظهر من مظاهر المحبة لأنه ردُّ فعلٍ إيجابي وممتن لعظمة الله وصلاحه. إنه مودةٌ وإعجابٌ قويين بشخصه. ويدفعنا هذا الخوف نحو الأعمال الصالحة من خلال رغبتنا بتكريم وتمجيد من نحب.

عندما لا نرى الأمور من هذا المنظور، يسهل علينا أن نصبح بلا عاطفة ونتكاسل من ناحية السلوكيات المسيحية. من السهل أن نظن أن الله بعيد جداً، ولا داعي للاهتمام بالالتزامات التي يضعها الله على حياتنا. وبدلاً من السعي وراء ملكوت الله، نركّز على العالم الأرضي فقط. وكنتيجة لذلك، لا نشعر بالالتزام لضبط حياتنا وفق إرادة الله المعلنة.

لكن عندما نشعر بالخوف المهيب من الله، فإنه يدفعنا لكي نرضيه بطرق عدة. وتشير الأسفار المقدسة إلى نتائج هذا الدافع في أماكن عدة. لكننا نجد أكثرها في أسفار الحكمة في العهد القديم. على سبيل المثال، يعلمنا سفر الأمثال أن مَخَافَةُ الرَّبِّ رَأْسُ الْمَعْرِفَةِ 1: 7، بَدْءُ الْحِكْمَةِ 9: 10، يَنْبُوعُ حَيَاةٍ 14: 27. تَزِيدُ الأَيَّامَ 10: 27. تساعدنا في الْحَيَدَانُ عَنِ الشَّرِّ 16: 6. وتجلب

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

غِنًى وَكَرَامَة وَحَيَاة 22: 4. كلٌ من هذه النتائج الصالحة وأخرى غيرها تنبع من الخوف من الله. استمع إلى الطريقة التي يلخّص فيها سفر الجامعة 12: 13 الحكمة والسلوكيات الحقيقية:

اتَّقِ اللهَ وَاحْفَظْ وَصَايَاهُ لأَنَّ هَذَا هُوَ الإِنْسَانُ كُلُّهُ. (جامعة 12: 13)

يدفعنا الخوف من الله لكي نفكر، نتكلم ونتصرف بطرق ترضي ربنا وملكنا. يجب أن يدفعنا لكي نحفظ وصاياه، ولكي نُحسن إلى المخلوقات التي يحبها.

من هنا، نجد أن المحبة تلعب دور الدافع للأعمال الصالحة بعدة طرق. ففي الإخلاص، تدفعنا المحبة لكي نتمّم واجباتنا تجاه الله والقريب. في العمل، تدفعنا المحبة للقيام بما يمجد الله ويفيد القريب. وفي العاطفة، تدفعنا المحبة لإرضاء ربنا المحب عن طريق خدمته والعناية بالقريب.

الخاتمة

تَرَكَزَ بحثنا في البعد الوجودي، في هذا الدرس حول النية في عمل الصلاح، حول مفهوم الدافع. وقد بدأنا بالبحث في أهمية الدوافع، ناظرين إلى الدور الذي تلعبه هذه الدوافع في عملية صنع القرارات الكتابية. ومن ثم، ركّزنا على دافعين مهمَين جداً ويشكلان جزءاً من كل قرار جيد: دافع الإيمان، في كلاً من خلاصنا الأولي، وحياتنا المسيحية المستمرة؛ ودافع المحبة، الذي يتضمن الإخلاص، العمل والعاطفة.

يواجَه المسيحيون بالعديد من الأحكام السلوكية كل يوم. وفي كثيرٍ من الحالات، من الصعب أن نحلل ما هو واجبنا، وما هي الحقائق، فكم بالأحرى ما هي نظرتنا الباطنية لذواتنا. ومع ذلك، حتى تكون أحكامنا كتابية بالفعل، يجب أن نبذل الجهد لكي نكتشف نوايانا. يجب أن نتأكد أن كل ما نقوم به، يتم بدافع من إيماننا بالله فعلاً، ومن محبتنا لله والقريب. وعندما نحتفظ بنوايا واضحة، نكون مستعدين أكثر لاتخاذ أحكام تكرّم ربنا وتمجّده.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org

---

د. ريتشارد برات هو مؤسس ورئيس خدمات الألفيّة الثالثة. خدم كأستاذ العهد القديم بكليّة اللاهوت المُصلح لأكثر من 20 سنة وكان رئيسًا لقسم دراسات العهد القديم. كراعٍ مرتسم، يجوب د. برات العالم كارزًا ومعلمًا. حصل على درجة الماجستر في اللاهوت الرعوي من كلية يونيون للاهوت، كما حصل على درجة الدكتوراة في الفلسفة من جامعة هارفارد. د. برات هو رئيس تحرير الكتاب المقدس الدراسي "روح الإصلاح" ومترجم لترجمة New Living للكتاب المقدس. كما كتب أعدادًا ضخمة من المقالات والكتب، ممن بينها الصلاة بأعينٍ مفتوحة، مستأسرين كل فكر، مصممون للمجد، أعطانا الله قصصًا، نفسير سفري أخبار الأيام، وتفسير رسالتي كورنثوس.

للحصول على فيديوهات وموارد أخرى قم بزيارة موقع خدمات الألفيّة الثالثة http://arabic.thirdmill.org